الرد على الجهمية والزنادقة

فيما شكوا فيه من متشابه القرآن
وتأولوه على غير تأويله

تأليف

امام أهل السنة والجماعة

أحمد بن حنبل

توفي سنة ٢٤١هـ

رحمه الله

تحقيق

صبري بن سلامة شاهين

دار الثبات للنشر والتوزيع

ⓒ دار الثبات للنشر والتوزيع، ١٤٢٤ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ابن حنبل، احمد ابن حنبل

الرد على الجهمية والزنادقة. / احمد ابن حنبل ابن حنبل؛

صبري سلامة شاهين .- الرياض، ١٤٢٤ هـ

١٧٦ ص، ١٧×٢٤ سم

ردمك: x - ٥٩٢ - ١٠ - ٩٩٦٠

١ - الجهمية (فرق دينية) ٢ - الاسلام - دفع مطاعن أ. شاهين،

صبري سلامة (محقق) ب. العنوان

ديوي ٢٤٥,٢ ٣٩٣٦ / ١٤٢٤

رقم الإيداع: ٣٩٣٦ / ١٤٢٤

ردمك: x - ٥٩٢ - ١٠ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كلمة الناشر

الحمد لله القائل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨] وقال رسول الله ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**» [مسلم: ١٦٣١] وقال ﷺ «**الدال على الخير كفاعله**» [صحيح الجامع: ٣٣٩٩].

قال ابن القيم رحمه الله في جلاء الأفهام (ص٢٤٩): فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين وأتباعهم، وهم خلفاء الرسل في أممهم، والناس تبع لهم، والله سبحانه قد أمر رسوله أن يبلغ ما أنزل إليه، وضمن له حفظه وعصمته من الناس، وهكذا المبلغون عنه من أمته، لهم من حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه وتبليغهم له. وقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه ولو آية، ودعا لمن بلّغ عنه ولو حديثاً وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو، ولأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس. أما تبليغ السنن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم، جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه. ا. هـ.

لذا أخذت دار الثبات للنشر والتوزيع على عاتقها نشر ما تقوم به الحجة، وتظهر به المحجة، وتزول به المعذرة ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ

يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ [الأعراف: ١٦٤]، فكان هذا الكتاب «**الرد على الجهمية والزنادقة**» لإمام السنة الإمام المبجل أحمد بن حنبل نضّر الله وجهه ـ سهما في نحور الزنادقة والجهمية وأشياعهم. ولقد اعتنى به وحققه تحقيقاً علميًّا الأخ صبري بن سلامة شاهين، فقام على إخراجه والعناية به، فأحسن وأجاد، فنسألك اللهم أن تجزيه خيراً على ما صنع في دنياه وأخراه.

وهنا نحن في دار الثبات نكمل المسير ونقدم الخير ونهدي النور للحيارى ونزجي لهم الزاد العلمي والروحي من خلال ما تتولى الدار إصداره ونشره وتوزيعه. ولقد سبق بحمد الله وفضله أن أخرجنا مجموعة طيبة ونافعة من الكتب السلفية التي تعد نبراساً في طريق دعوتنا وعملنا، منها: عمدة الأحكام الصغرى، وعمدة الأحكام الكبرى، وفتاوى حول بعض الكتب، وشبهات وإشكالات حول بعض الأحاديث. وفي الطريق مختصر زاد المعاد، ومختصر سيرة الرسول ﷺ وغيرها من الإصدارات القيمة، التي نسأل الله عز وجل أن تحوز على رضا القراء وطلبة العلم والعلماء، وأن تكون من العلم النافع والعمل الصالح، هذا ما نرجوه ونتطلع إليه، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

الناشــر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

الحمد لله القائل: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] والقائل سبحانه: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الروم: ٣١، ٣٢] القائل عز وجل: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وأصلي وأسلم على النبي الرحمة المهداة محمد بن عبد الله القائل: «**فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**»(١) والقائل ﷺ: «**فإنه من يعش منكم بعدي سيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»(٢).

ورحم الله الأوزاعي حين قال: عليك بأثر من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوا لك بالقول.

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ٨٦٧).

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ١٢٦، ١٢٧، وأبو داود (رقم ٤٦٠٧) والترمذي (رقم ٢٦٧٦)، وابن أبي عاصم في السنة (رقم ٥٤) والحاكم ١/ ٩٧ وابن حبان كما في الموارد (رقم ١٠٢) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في ظلال الجنة.

ورحم الله عمران القَصِير حين قال: إياكم والمنازعة والخصومة، وإياكم وهؤلاء الذين يقولون: أرأيت أرأيت؟

ورضي الله عن عمر الفاروق القائل: سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله تعالى.

وها هو إمام السنة رحمه الله الإمام المبجل أحمد بن حنبل الأعلم بالسنة يتصدى لأولئك النفر الذين خلعوا ربقة الإسلام من أعناقهم: الزنادقة والجهمية. في رسالته القيمة التي فنَّد فيها مزاعم أهل الزيغ والضلال، ولم يأت الإمام أحمد ببدعٍ من القول، بل كان على عهد من سلفه من أصحاب النبي ﷺ وتابعيهم رضي الله عنهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وأحمد بن حنبل وإن كان قد اشتهر بإمامة السنة والصبر في المحنة، فليس ذلك لأنه انفرد بقول أو ابتدع قولاً، بل لأن السنة التي كانت موجودة معروفة قبله علمها ودعا إليها وصبر على من امتحنه ليفارقها، وكان الأئمة قبله قد ماتوا قبل المحنة، فلما وقعت محنة الجهمية: نفاة الصفات، في أوائل المئة الثالثة[1] على عهد المأمون وأخيه المعتصم ثم الواثق ـ ودعوا الناس

(١) جاء في حاشية منهاج السنة النبوية (٢/ ٦٠٢): قلت: والعجب أن الشارح ابن تيمية مع تبحره وتتبعه وإحاطته بأخبار الأولين أخطأ بهذا، إذ التجهم كان أقدم من هذا التاريخ بكثير، وكان ولادة إمامنا أبي حنيفة سنة ثمانين ووفاته سنة خمسين ومائة، وقد اشتهر مذهب جهم بن صفوان الترمذي في عهد أبي حنيفة رضي الله عنه. . . ثم قال محقق منهاج السنة الدكتور محمد رشاد سالم رحمه الله: وابن تيمية يقول: إن الجهمية =

إلى التجهم وإبطال صفات الله تعالى، وهو المذهب الذي ذهب إليه متأخرو الرافضة، وكانوا قد أدخلوا معهم من أدخلوه من ولاة الأمور، فلم يوافقهم أهل السنة والجماعة حتى تهددوا بعضهم بالقتل، وقيدوا بعضهم، وعاقبوهم وأخذوهم بالرهبة والرغبة، وثبت الإمام أحمد بن حنبل على ذلك الأمر حتى حبسوه مدة، ثم طلبوا أصحابهم لمناظرته فانقطعوا معه في المناظرة يوماً بعد يوم، ولم يأتوا بما يوجب موافقته لهم، بل بيّن خطأهم فيما ذكروه من الأدلة..

ثم قال ابن تيمية رحمه الله: وأحمد وغيره من علماء أهل السنة والحديث مازالوا يعرفون فساد مذهب الروافض والخوارج والقدرية والجهمية والمرجئة، ولكن بسبب المحنة كثر الكلام، ورفع الله قدر هذا الإمام، فصار إماماً من أئمة السنة وعلماً من أعلامها لقيامه بإعلامها وإظهارها واطلاعه على نصوصها وآثارها وبيانه لخفي أسرارها، لا لأنه أحدث مقالة أو ابتدع رأيا[1].

وقال ابن تيمية رحمه الله: هذا مع العلم بأن كثيراً من المبتدعة منافقون النفاق الأكبر، وأولئك كفار في الدرك الأسفل من النار، فما أكثر ما يوجد في الرافضة والجهمية ونحوهم زنادقة منافقون، بل أصل هذه البدع هو من المنافقين الزنادقة ممن يكون أصل زندقته عن

= حدثت في أواخر عصر التابعين وإن أول الجهمية الجعد بن درهم المقتول نحو سنة ١١٨هـ وإنما صار للجهمية ظهور وشوكة في أوائل المائة الثالثة. وانظر كلامه في درء تعارض العقل والنقل ٥/ ٢٤٤ـ٢٤٥.

(١) منهاج السنة النبوية (٢/ ٦٠١ـ٦٠٦).

الصابئين والمشركين، فهؤلاء كفار في الباطن، ومن علم حاله فهو كافر في الظاهر أيضاً[١].

وقال أيضاً رحمه الله: وأما تعيين الفرق الهالكة فأقدم من بلغنا أنه تكلم في تضليلهم يوسف بن أسباط ثم عبد الله بن المبارك، وهما إمامان جليلان من أجلاء أئمة المسلمين، قالا: أصول البدع أربعة: الروافض والخوارج والقدرية والمرجئة. فقيل لابن المبارك: والجهمية؟ فأجاب بأن أولئك ليسوا من أمة محمد. وكان يقول: إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية. وهذا الذي قاله اتبعه عليه طائفة من العلماء من أصحاب أحمد وغيرهم، قالوا: إن الجهمية كفار فلا يدخلوا في الاثنتين والسبعين فرقة، كما لا يدخل فيهم المنافقون الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام وهم الزنادقة. وقال آخرون من أصحاب أحمد وغيرهم: بل الجهمية داخلون في الاثنتين والسبعين فرقة، وجعلوا أصول البدع خمسة[٢].

وقال أيضاً رحمه الله: ثم أصل هذه المقالة ـ مقالة التعطيل للصفات ـ إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين، فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام ـ أعني أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة، وأن استوى

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٢/ ٤٩٧).
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ٣٥٠).

بمعنى استولى ونحو ذلك هو الجعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه. وقد قيل: إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت عن لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ[١].

وقال أيضاً رحمه الله: المشهور من مذهب الإمام أحمد وعامة أئمة السنة تكفير الجهمية وهم المعطلة لصفات الرحمن، فإن قولهم صريح في مناقضة ما جاءت به الرسل من الكتاب، وحقيقة قولهم جحود الصانع، ففيه جحود الرب، وجحود ما أخبر به عن نفسه على لسان رسله، ولهذا قال عبد الله بن المبارك: إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية. وقال غير واحد من الأئمة: إنهم أكفر من اليهود والنصارى، يعنون من هذا الجهمية، ولهذا كفَّروا من يقول: إن القرآن مخلوق، وأن الله لا يرى في الآخرة، وأن الله ليس على العرش، وأن الله ليس له علم ولا قدرة ولا رحمة ولا غضب، ونحو ذلك من صفاته[٢].

وربما يسأل سائل: لماذا هذا الكتاب بعينه؟ مع ما فيه من إشكال؟!

أقول: إن نشر هذا الكتاب وتحقيقه وفتح مغاليقه لهو من الجهاد

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/ ٢٠).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٢/ ٤٨٦، ٤٨٧).

في سبيل الله، وإن كنت حرمت أو عجزت عن الجهاد بالسيف والسنان فلا أحرم أو أعجز عن الجهاد بالقلم واللسان، فقد بيّن ذلك ووضحه أتم إيضاح شيخ الإسلام عليه من الله الرحمة والرضوان، حيث قال: ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل. فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم، من جنس الجهاد في سبيل الله، إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء[١].

وقال رحمه الله: والداعي إلى البدعة مستحق العقوبة باتفاق المسلمين، وعقوبته تكون تارة بالقتل وتارة بما دونه... ولو قدر أنه لا يستحق العقوبة أو لا يمكن عقوبته، فلابد من بيان بدعته والتحذير منها، فإن هذا من جملة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أمر

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨/ ٢٣١، ٢٣٢).

الله به ورسوله. والبدعة التي يعد بها الرجل من أهل الأهواء ما اشتهر عند أهل العلم بالسنة مخالفتها للكتاب والسنة: كبدعة الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة...

وقد قال عبد الرحمن بن مهدي: هما صنفان فاحذرهما: الجهمية والرافضة، فهذان الصنفان شرار أهل البدع[١].

قال عبد الله بن المبارك: الجهمية كفار زنادقة.

وقال سلام بن أبي مطيع: هؤلاء الجهمية كفار.

وقال إبراهيم بن طهمان: الجهمية كفار.

وقال عبد الوهاب الوراق: الجهمية كفار زنادقة مشركون.

وقال يزيد بن هارون: هم والله زنادقة عليهم لعنة الله.

وقال خارجة بن مصعب: كفرت الجهمية في غير موضع من كتاب الله.

وقال عبد الحميد الحماني: جهم كافر بالله.

وقال أحمد بن إبراهيم الدورقي: بشر المريسي وأبو بكر الأصم كافران حلالا الدم.

وقال قتيبة بن سعيد: بشر المريسي كافر.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: لو كان الأمر إليّ لقمت على الجسر فلا يمر بي أحد يقول: القرآن مخلوق. إلا ضربت عنقه وألقيته.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٥/ ٤١٣ـ٤١٥).

وقال أيضاً: من زعم أن الله لم يكلم موسى يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه.

وقال إبراهيم بن أبي نعيم: لو كان لي سلطان ما دفن الجهمية في مقابر المسلمين.

وقال أحمد بن عبد الله بن يونس: لا نصلي خلف من يقول: القرآن مخلوق، هؤلاء كفار.

وقال سلام بن أبي مطيع: هؤلاء الجهمية كفار، ولا يصلى خلفهم.

وقال عبد الله بن المبارك: من قال: القرآن مخلوق، فقد طلقت منه امرأته.

وقال خارجة بن مصعب: الجهمية كفار، بلغوا نساءهم أنهن طوالق[(١)].

وقال البخاري رحمه الله: ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي أم صليت خلف اليهود والنصارى، ولا يسلم عليهم ولا يعادون ولا يناكحون ولا يشهدون ولا تؤكل ذبائحهم[(٢)].

* **ولكن هل يكفر الجهمية بأعيانهم؟** أي أن كل من اعتقد باعتقاد الجهمية أوقال بقولهم يكون كافراً بعينه؟

---

(١) الإبانة (١/ ١٠٠_١٠١) وانظر: نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي العنيد (١/ ٥٧٩_٥٨٩) والشريعة للآجري (١/ ٤٩٧_٥٠٩).

(٢) خلق أفعال العباد (رقم ٥٣) وانظر: بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٨٢).

يجيب عن السؤال ويدفع هذا الإشكال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال: إن المقالة تكون كفراً: كجحد وجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج وتحليل الزنا والخمر والميسر ونكاح ذوات المحارم، ثم القائل بها قد يكون بحيث لم يبلغه الخطاب، وكذا لا يكفر به جاحده، كمن هو حديث عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة لم تبلغه شرائع الإسلام، فهذا لا يكفر بجحد شيء مما أنزل على الرسول، إذا لم يعلم أنه أنزل على الرسول. ومقالات الجهمية هي من هذا النوع، فإنها جحد لما هو الرب تعالى عليه ولما أنزل الله على رسوله[١].

وقال أيضاً رحمه الله: وسبب هذا التنازع ـ يعني تنازع أهل السنة في تكفير الجهمية بأعيانهم ـ تعارض الأدلة، فإنهم يرون أدلة توجب إلحاق أحكام الكفر بهم، ثم إنهم يرون من الأعيان الذين قالوا تلك المقالات من قام به من الإيمان ما يمتنع أن يكون كافراً، فيتعارض عندهم الدليلان. وحقيقة الأمر أنهم أصابهم في ألفاظ العموم في كلام الأئمة ما أصاب الأولين في ألفاظ العموم في نصوص الشارع. كلما رأوهم قالوا: من قال كذا فهو كافر. اعتقد المستمع أن هذا اللفظ شامل لكل من قاله، ولم يتدبروا أن التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين، وأن التكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع، ويبين هذا أن الإمام أحمد وعامة

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ٣٥٤).

الأئمة الذين أطلقوا هذه العمومات لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه... ثم قال: وهذه الأقوال والأعمال منه ومن غيره من الأئمة صريحة في أنهم لم يكفروا المعينين من الجهمية الذين كانوا يقولون: القرآن مخلوق. وأن الله لا يُرى في الآخرة. وقد نقل عن أحمد ما يدل على أنه كفّر به قوماً معينين. فأما أن يذكر عنه في المسألة روايتان ففيه نظر، أو يحمل الأمر على التفصيل. فيقال: من كفر بعينه فلقيام الدليل على أنه وجدت فيه شروط التكفير وانتفت موانعه، ومن لم يكفر بعينه فلانتفاء ذلك في حقه، هذا مع إطلاق قوله بالتكفير على سبيل العموم[١].

وقال أيضاً رحمه الله: وإذا عرف هذا فتكفير المعين من هؤلاء الجهال وأمثالهم بحيث يحكم عليه بأنه من الكفار لا يجوز الإقدام عليه، إلا بعد أن تقوم على أحدهم الحجة الرسالية، التي يتبين بها أنهم مخالفون للرسل، وإن كانت هذه المقالة لا ريب أنها كفر، وهكذا الكلام في تكفير جميع المعينين.

مع أن بعض هذه البدع أشد من بعض، وبعض المبتدعة يكون فيه من الإيمان ما ليس في بعض، فليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة، ومن ثبت إيمانه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة[٢].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٢/ ٤٨٧ـ٤٨٩).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٢/ ٥٠٠).

وقال أيضاً رحمه الله: فإن الإمام أحمد مثلاً قد باشر الجهمية الذين دعوه إلى خلق القرآن ونفي الصفات، وامتحنوه وسائر علماء وقته، وفتنوا المؤمنين والمؤمنات الذين لم يوافقوهم على التجهم بالضرب والحبس والقتل والعزل عن الولايات وقطع الأرزاق ورد الشهادة وترك تخليصهم من أيدي العدو، بحيث كان كثير من أولي الأمر إذ ذاك من الجهمية من الولاة والقضاة وغيرهم: يكفّرون كل من لم يكن جهميًّا موافقا لهم على نفي الصفات، مثل القول بخلق القرآن، ويحكمون فيه بحكمهم في الكافر.. ومعلوم أن هذا من أغلظ التجهم، فإن الدعاء إلى المقالة أعظم من قولها، وإثابة قائلها وعقوبة تاركها أعظم من مجرد الدعاء إليها، والعقوبة بالقتل لقائلها أعظم من العقوبة بالضرب.

ثم إن الإمام أحمد دعا للخليفة وغيره ممن ضربه وحبسه واستغفر لهم وحللهم مما فعلوه به من الظلم والدعاء إلى القول الذي هو كفر، ولو كانوا مرتدين عن الإسلام لم يجز الاستغفار لهم، فإن الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والإجماع[1].

* **أما الإشكال الذي في هذا الكتاب**، وهو أن بعض أهل العلم شكك في نسبة هذا الكتاب إلى الإمام أحمد رحمه الله[2]، بل إن

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٢/ ٤٨٨-٤٨٩).

(٢) كالإمام الذهبي رحمه الله ذكر أنه موضوع على أبي عبد الله أحمد بن حنبل، ولم يأت بدليل على ذلك، بل قال: لعله قاله. ومأخذ الإمام الذهبي على هذا الكتاب أن فيه كلاماً لا يصدر عن مثل الإمام أحمد. وهذا لا يكفي في إهدار نسبة هذا الكتاب للإمام =

البعض ينفي أن يكون الإمام أحمد كتب كتاباً غير المسند، وهذا فيه تجوز ونظر، زاعمين أنه كان ينهى عن تأليف الكتب.

أقول: نعم كان ينهى عن تأليف الكتب ومجالسة أهل البدع والرد عليهم، ولكن كان هذا في أول الأمر، ثم لما تغيرت الأحوال وتترس الباطل بقوة السلطان كان ولابد من التصدي لهذا الباطل ودحره وإبطاله.

قال الدارمي رحمه الله: فحين خاضت الجهمية في شيء منه وأظهروه وادعوا أن كلام الله مخلوق، أنكر ذلك ابن المبارك، وزعم أنه غير مخلوق فإنّ من قال: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ مخلوق فهو كافر.

حدثنيه يحيى الحماني عن الحسن بن الربيع عن ابن المبارك، فكره ابن المبارك حكاية كلامهم قبل أن يعلنوه، فلما أعلنوه أنكر عليهم وعابهم ذلك.

وكذلك قال ابن حنبل: كنا نرى السكوت عن هذا قبل أن يخوض فيه هؤلاء، فلما أظهروه لم نجد بدًّا من مخالفتهم والرد عليهم[1].

ورسالة «**الرد على الجهمية والزنادقة**» التي نحن بصدد الحديث عنها فأقول: إن من فضل الله عليَّ أن يسَّر لي العمل في هذه الرسالة،

= أحمد، فكل يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم ﷺ.

(١) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد (١/ ٥٣٧-٥٣٨).

فهذا شرف لي عظيم ومنة كبرى أن أوفق لخدمة تراث هذا الإمام العلم إمام السنة رحمه الله، فأسألك اللهم أن تحشرني وإياه تحت لواء سيد المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ. جعلنا الله وإياكم ممن تحيا بهم السنن، وتموت بهم البدع، وتقوى بهم قلوب أهل الحق، وتنقمع بهم نفوس أهل الأهواء بمنه وكرمه[١].

إن اعتماد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وتلميذه ابن قيم الجوزية رحمه الله على هذه الرسالة في تقرير عقيدة أهل السنة في كتبهم لهو أكبر دليل على صحة نسبة هذه الرسالة لإمام أهل السنة رحمه الله، ولو قلنا غير هذا لشككنا في هذا الحق المبثوث في كتب هذين الإمامين الجليلين ابن تيمية وابن القيم حيث اعتمدا على رسالة مكذوبة على إمام السنة. ولكن الحمد لله ما نظن أن هذين العلمين يعتمدان على رسالة مكذوبة، بل هي صحيحة النسبة كصحة نسبة صاحبها لإمامة أهل السنة والجماعة، فلله الحمد من قبل ومن بعد.

وأقول: لو تتبعت كل المواضع التي ذكرت فيها هذه الرسالة أو أخذ منها واستشهد بما فيها لطال المقام، ولكن أكتفي بذكر ما تيسر لي وهو غير قليل، ولو تتبعت لوقفت على كثير.

١ ـ **«منهاج السنة النبوية»** طبع جامعة الإمام بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم رحمه الله (٢/ ٤٨٤ـ ٤٨٦).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وهو اعتراض قديم من اعتراضات

---

(١) من دعاء محمد بن الحسين الآجري في كتاب الشريعة (١/ ٢٧٤).

نفاة الصفات، حتى ذكره الإمام أحمد في الرد على الجهمية، فقال: «قالت الجهمية لما وصفنا الله بهذه الصفات: إن زعمتم أن الله لم يزل ونوره والله وقدرته... إلى قوله: فكذلك الله، وله المثل الأعلى، هو بجميع صفاته إله واحد»[١].

ثم قال شيخ الإسلام رحمه الله: وهذا الذي ذكره الإمام أحمد يتضمن أسرار هذه المسائل، وبيان الفرق بين ما جاءت به الرسل من الإثبات الموافق لصريح العقل وبين ما تقوله الجهمية وبين أن صفاته داخلة في مسمى أسمائه. ا.هـ.

وقال في موضع آخر (٢/ ٥٦٨): فهذا مما تنفيه الجهمية نفاة الصفات، وهو مما أنكر السلف والأئمة نفيهم له، كما ذكر ذلك أئمة المسلمين المصنفين في الرد على الجهمية، كالإمام أحمد رضي الله عنه في رده على الجهمية[٢].

وفي نسخة أخرى لمنهاج السنة النبوية طبع دار الكتب العلمية وضع حواشيه وخرج آياته وأحاديثه عبد الله محمود محمد عمر (٣/ ١٠٨).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وقال الإمام أحمد في خطبة مصنفه الذي صنفه في محبسه في الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه

---

(١) هذا النقل يقابل من نسخة الدكتور عبد الرحمن عميرة (ص١٣٣ـ ١٣٤) ومن نسخة الشيخ إسماعيل الأنصاري (ص٤٩ـ ٥٠).

(٢) منهاج السنة النبوية (٢/ ٥٦٨).

من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله. قال: الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل. . . ا.هـ.

٢ ـ «**الرسالة التدمرية**» مع شرحها التحفة المهدية طبع دار الوطن (ص٢٥٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ولهذا كان الأئمة كالإمام أحمد وغيره ينكرون على الجهمية وأمثالهم من الذين يحرفون الكلم عن مواضعه تأويل ما تشابه عليهم من القرآن على غير تأويله، كما قال أحمد في كتابه الذي صنفه في الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله، وإنما ذمهم لكونهم تأولوه على غير تأويله. . . الخ.

وقال الشارح الشيخ فالح بن مهدي آل مهدي: وقد صنف الإمام أحمد كتاباً في الرد على هؤلاء وسماه: «الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكَّت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله» فعاب أحمد عليهم أنهم يفسرون القرآن بغير معناه. ثم قال: وهذا الكتاب هو مما ألفه الإمام أحمد بن حنبل في حبسه، وقد ذكره عنه الخلال في كتاب السنة والقاضي أبو يعلى وأبو الفضل التميمي وأبو الوفاء بن عقيل وغير واحد من أصحابه. ثم ذكر الشيخ فالح قطعة كبيرة من الكتاب[١].

٣ ـ «**اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**» طبع دار المسلم تحقيق الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل حفظه الله

---

(١) التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية (ص٢٦٠ـ٢٦٢).

(٢/ ٨٠٠ ـ ٨٠١).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: والله تعالى هو الذات الموصوفة بصفاته اللازمة، فليس اسم الله متناولاً لذات مجردة عن الصفات أصلاً، ولا يمكن وجود ذلك، ولهذا قال أحمد رحمه الله في مناظرته للجهمية: لا نقول الله وعلمه، والله وقدرته، والله ونوره، ولكن نقول: الله بعلمه وقدرته ونوره هو إله واحد(١).

٤ ـ «جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أن (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن» طبع دار الوطن للنشر والتوزيع (ص٩٥).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وهؤلاء كان قصدهم الاحتجاج لبدعتهم، فذكر لهم الإمام أحمد رحمه الله من المعارضة والنقض ما يبطلها. وقد تكلم الإمام أحمد في رده على الجهمية في جواب هذا، وبيَّن أن لفظ الغير لم ينطق به الشرع لا نفيا ولا إثباتا(٢).

٥ ـ «درء تعارض العقل والنقل» أو (موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول) طبع دار الكتب العلمية ضبطه وصححه عبد اللطيف عبد الرحمن (١/ ٣٧٧ـ ٣٧٨).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: قال أحمد في رده على الجهمية:

---

(١) انظر: الرد على الجهمية طبعة الأنصاري (ص٤٩) وطبعة د/ عميرة (ص١٣٣).

(٢) جاء في حاشية الكتاب: قال شيخ الإسلام في منهاج السنة (٣/ ٦٩) إن الإمام أحمد صنفه وهو في محبسه.

باب ما أنكرت الجهمية من أن يكون الله كلّم موسى. . . إلى قوله: هل سمعتم أصوات الصواعق التي تقبل في أحلى حلاوة سمعتموها، فكأنه مثله[١].

ثم علق ابن تيمية رحمه الله على هذا النقل فقال: وقال الإمام أحمد: وقلنا للجهمية: من القائل يوم القيامة: ﴿يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ . . . إلى قوله: ولا نقول: إنه قد كان ولا عظمة له حتى خلق لنفسه عظمة[٢].

في (١/ ٣٨٠ـ ٣٨١) ذكر شيخ الإسلام رحمه الله نقلاً آخر فقال: ولهذا قال الإمام أحمد في أول خطبته فيما أخرجه في الرد على الزنادقة والجهمية. ثم ذكر الخطبة.

وفي (٢/ ٤٠٧ـ ٤٠٨) قال ابن تيمية رحمه الله: قال الإمام أحمد: باب بيان ما أنكرت الجهمية من أن يكون الله كلم موسى. . . إلى قوله: ولا نقول: إنه كان لا يعلم حتى خلق علما فعلم[٣].

ثم قال: قال الإمام أحمد: قالت الجهمية: إن زعمتم أن الله ونوره والله وقدرته والله وعظمته فقد قلتم بقول النصارى. . . إلى قوله: فكذلك الله وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد[٤].

---

(١) هذا النقل يقابل في نسخة د. عميرة (ص١٣٠ـ ١٣٢).
(٢) هذا النقل يقابل في نسخة د. عميرة (ص١٣٢ـ ١٣٣).
(٣) هذا النقل يقابل في نسخة د. عميرة(ص١٣٠ـ ١٣٣).
(٤) هذا النقل يقابل في نسخة د. عميرة(ص١٣٣ـ ١٣٤).

ثم ذكر خطبة الكتاب في (٢/ ٤٠٩).

ثم ذكر نقلاً آخر (٢/ ٤١٠) فقال: قال أحمد: وكذلك الجهم وشيعته دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث... إلى قوله: وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة ووضع دين الجهمية[١].

ثم ذكر نقلاً آخر في (٢/ ٤١٥) فقال رحمه الله: قال الإمام أحمد عن الجهمية: فإن سألهم الناس عن قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾... إلى قوله: ولا يشعر أنهم لا يقولون قولهم إلا فرية في الله[٢].

وفي (٣/ ١٧٤ـ ١٧٦) قال شيخ الإسلام رحمه الله: وممن ذكر ذلك الإمام أحمد فيما خرّجه في الرد على الزنادقة والجهمية، قال: بيان ما أنكرت الجهمية الضلال أن يكون الله على العرش... إلى قوله: رجع عن قوله كله أجمع، وهو قول أهل السنة[٣].

وذكر شيخ الإسلام نقلاً آخر في (٣/ ١٧٧ـ ١٧٨) فقال رحمه الله: فأبطل الإمام أحمد هذا القول أيضاً فقال: بيان ما ذكره الله في القرآن من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ وهذا على وجوه... إلى قوله: فعند ذلك تبين للناس كذبهم على الله جل ثناؤه[٤].

---

(١) هذا النقل يقابل في نسخة د. عميرة (ص١٠١ـ١٠٥).

(٢) هذا النقل يقابل في نسخة د. عميرة (ص١٠٥ـ١٠٦).

(٣) هذا النقل يقابل في نسخة د. عميرة (ص١٣٥ـ ١٣٩) ويوجد بها سقط استدركته من نسخة الشيخ الأنصاري (ص٥٢ـ٥٣) ودرء تعارض العقل والنقل (٣/ ١٧٦).

(٤) هذا النقل يقابل في نسخة د. عميرة (ص١٤٠ـ ١٤٢) وفي نسخة الشيخ الأنصاري =

وفي (٩/٤) قال شيخ الإسلام رحمه الله: قال أحمد فيما كتبه: ثم إن الجهمي ادعى أمراً آخر، فقال: أنا أجد آية في كتاب الله تدل على أن القرآن مخلوق... إلى قوله: كما يقال: عبد الله وسماء الله وأرض الله[1].

٦ ـ «**تفسير سورة الإخلاص**»، طبع دار الريان للتراث والدار السلفية بومباي الهند، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد.

قال شيخ الإسلام رحمه الله (ص١٥٣ـ ١٥٤): قال الإمام أحمد في خطبته في الرد على الجهمية والزنادقة. وذكر الخطبة.

وفي (٢٣٩) قال رحمه الله: وكلام الإمام أحمد وغيره من السلف يحتمل أن يراد به هذا، فإن أحمد ذكر في رده على الجهمية أنها احتجت بثلاث آيات من المتشابه... ثم قال: وكذلك قال أحمد في ترجمة كتابه الذي صنفه في الحبس، وهو (الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله).

وفي (ص٢٧٤) قال شيخ الإسلام رحمه الله: كما قال الإمام أحمد فيما كتبه في (الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله).

وفي (ص٣١٧) قال رحمه الله: قال أحمد: قالوا: لا تكونون

= (ص٥٤ـ٥٥).

(١) هذا النقل يقابل في نسخة د. عميرة (ص١٢٣ـ ١٢٥) وفي نسخة الشيخ الأنصاري (٤٢ـ٤٣).

موحدين أبداً حتى تقولوا قد كان الله ولا شيء.... إلى قوله: ولكن نقول: لم يزل عالماً قادراً مالكاً لا متى ولا كيف[١].

٧ ـ «**بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**». أو «**نقض تأسيس الجهمية**»، طبع دار القاسم بتصحيح وتكميل وتعليق الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله.

قال شيخ الإسلام رحمه الله (١/ ١٣٩): وذلك أن مبدأ حدوث هذا في الإسلام هو مناظرة الجهمية للدهرية، كما ذكره الإمام أحمد رحمه الله تعالى في مناظرة جهم للسمنية وهم من الدهرية[٢].

وقال رحمه الله في (١/ ٣١٥): كما قال الإمام أحمد رحمه الله في رده على الجهمية لما ذكر عنهم ما وصفوه من السلوب وأنهم قالوا: كل ما خطر على قلبك أنه شيء تعرفه فهو على خلافه... إلى قوله: إنما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرونه[٣].

وقال رحمه الله في (١/ ٣١٨ـ ٣١٩)، (٢/ ٥٣ـ ٥٤) (٢/ ٣٥٠ـ ٣٥١): وقد ذكر الإمام أحمد رحمه الله أصل هذا النقل لما ذكر مبدأ حدوث الجهمية في هذه الملة، فقال: وكان مما بلغنا من أمر الجهم عدو الله أنه كان من أهل خرسان من الترمذ وكان صاحب خصومات

---

(١) يقابل هذا النقل في نسخة د. عميرة (ص١٣٣ـ ١٣٤) وفي نسخة الشيخ الأنصاري (ص٤٩).

(٢) المناظرة موجودة في نسخة د. عميرة (ص١٠٢ـ ١٠٣) وفي نسخة الشيخ الأنصاري (ص٢٧ـ٢٨).

(٣) يقابل هذا النقل في نسخة د. عميرة (ص١٠٥ـ١٠٦).

وكلام. . . إلى قوله: وكان من المشبهة فأضل بكلامه بشراً كثيراً[١]. وانظر أيضاً (١/ ٣٩٣، ٤١٩).

وقال في (١/ ٤٦٣ـ ٤٦٤): وممن نبه عليه الإمام أحمد قال في رسالته في (الرد على الزنادقة والجهمية) فقالت الجهمية لنا لما وصفنا هذه الصفات. . . إلى قوله: وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد[٢]. وانظر أيضاً (١/ ٤٦٦ـ ٤٦٧، ٤٧٤).

وانظر أيضاً بيان تلبيس الجهمية (٢/ ١٢، ٥٣، ٥٦، ٥٧، ٦٠، ٣٥٠، ٥١٩، ٥٣٤، ٥٤٢، ٥٤٦، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥١).

٨ ـ **«مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية»**، جمع وترتيب عبد الرحمن محمد القاسم رحمه الله.

قال ابن تيمية رحمه الله في (٥/ ٤٩٦): وقد بسط الإمام أحمد الكلام على المعية في الرد على الجهمية.

قال ابن تيمية رحمه الله في (١٢/ ٤٤٠ـ ٤٤١): إن الإمام أحمد صنف «الرد على الزنادقة والجهمية وهو في الحبس وكتبه بخطه».

وقال أيضاً رحمه الله في (١٦/ ٣١٧): كما قال أحمد في خطبته: الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل. . .

٩ ـ **«الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة»** لابن بطة العكبري، طبع دار الراية، تحقيق د/ يوسف بن عبد الله الوابل

---

(١) يقابل هذا النقل في نسخة د. عميرة (ص١٠٢ـ١٠٤).

(٢) يقابل هذا النقل في نسخة د. عميرة (ص١٣٣ـ١٣٤).

(الكتاب الثالث) الرد على الجهمية.

يقول المحقق الدكتور يوسف الوابل حفظه الله (١/ ١٦٩ـ ١٧٠):

مصادر ابن بطة في كتابه الإبانة:

الإمام ابن بطة من العلماء الأثريين الذين يعتمدون على الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين وعامة أقوال السلف، ولهذا فقد تأثر الإمام ابن بطة بمن سبقه من علماء السلف تأثراً واضحاً، وخاصة الإمام أحمد بن حنبل، فنجده ينقل كثيراً من أقواله بالسند المتصل إلى الإمام، ويجعل ذلك أصلاً يعتمد فيه على الاستدلال بعد الكتاب والسنة وأقوال الصحابة رضي الله عنهم.

وعامة هذه الآثار التي يوردها نجدها في كتب من سبقه من أهل السنة والجماعة، فينقلها المؤلف بالسند المتصل إلى أصحاب هذه الكتب، ومن هذه الكتب:

كتاب «**الرد على الجهمية**» للإمام أحمد.

وذكر المحقق حفظه الله غير ذلك من مصادر ابن بطة في كتابه الإبانة.

وقد اقتبس ابن بطة رحمه الله من رسالة الإمام أحمد الكثير، فانظر لذلك (٢/ ٨٦ـ ٨٩) يقابل في نسخة د/ عميرة (١٠١ـ ١٠٤) و(٢/ ١٥٧، ١٦٠) الموافق لنسخة الدكتور عميرة (ص١٠٦ـ ١٠٨).

وكذا في (٢/ ١٦٦ـ ١٦٧) يقابل في الرد نسخة د/ عميرة(ص١١٢ـ ١١٣).

وكذا في (٢/ ١٧٠ـ ١٧١) يقابل في الرد نسخة د/ عميرة (ص١١٤ـ ١١٥).

وكذا في (٢/ ١٧٥) يقابل في الرد نسخة د/ عميرة (ص١٣٣ـ ١٣٤).

وكذا في (٢/ ١٧٩) يقابل في الرد نسخة د/ عميرة (ص١١٠).

وكذا في (٢/ ١٨٣) يقابل في الرد نسخة د/ عميرة (ص١٢٠).

وكذا في (٢/ ١٩٥) يقابل في الرد نسخة د/ عميرة (ص١٤٣ـ ١٤٤).

وكذا في (٢/ ١٩٧) يقابل في الرد نسخة د/ عميرة (ص١٣٠).

وكذا في (٢/ ١٩٨) يقابل في الرد نسخة د/ عميرة (١٢٣ـ ١٢٥).

وكذا في (٢/ ٢٠٢) يقابل في الرد نسخة د/ عميرة (ص١٤٥).

وكذا في (٢/ ٣٠١) يقابل في الرد نسخة د/ عميرة (ص١٣٠ـ ١٣١).

وكذا في (٣/ ٣ـ ٥) يقابل في الرد نسخة د/ عميرة (ص١٢٨ـ ١٢٩).

١٠ ـ «**الفهرست**» لابن النديم. طبع دار المعرفة، اعتنى بها وعلق عليها الشيخ إبراهيم رمضان (ص٢٨١).

قال رحمه الله: أحمد بن حنبل، وهو أبو عبد الله أحمد بن حنبل، وله من الكتب: كتاب العلل، كتاب التفسير، كتاب الناسخ والمنسوخ، كتاب الزهد، كتاب المسائل، كتاب الفضائل، كتاب الفرائض، كتاب المناسك، كتاب الأيمان، كتاب الأشربة، كتاب طاعة الرسول، كتاب «**الرد على الجهمية**»، كتاب المسند.

١١ ـ «**اجتماع الجيوش الإسلامية**»، لابن قيم الجوزية رحمه الله،

طبع مكتبة الرشد، إعداد وتحقيق الدكتور عواد عبد الله المعتق. انظر: ص٢٢٠ ـ ٢١٣.

قال ابن القيم رحمه الله: قال الخلال: كتبت هذا الكتاب من خط عبد الله وكتبه عبد الله من خط أبيه. واحتج القاضي أبو يعلى في كتابه «إبطال التأويل» بما نقله منه عن أحمد، وذكر ابن عقيل في كتابه بعض ما فيه عن أحمد، ونقل منه أصحابه قديماً وحديثاً ونقل منه البيهقي، وعزاه إلى أحمد، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية عن أحمد، ولم يسمع من أحد من متقدمي أصحابه ولا متأخريهم، طعن فيه، فإن قيل: هذا الكتاب يرويه أبو بكر عبد العزيز غلام الخلال عن الخلال عن الخضر بن المثنى عن عبد الله بن أحمد عن أبيه، وهؤلاء كلهم أئمة معروفون إلا الخضر بن المثنى، فإن مجهول فكيف تثبتون هذا الكتاب عن أحمد برواية مجهولة، فالجواب من وجوه:

أحدها: أن الخضر هذا قد عرفه الخلال وروى عنه كما روى كلام أبي عبد الله عن أصحابه وأصحاب أصحابه، ولا يضر جهالة غيره له.

الثاني: أن الخلال قد قال: كتبته من خط عبد الله بن أحمد وكتبه عبد الله من خط أبيه. والظاهر أن الخلال إنما رواه عن الخضر، لأنه أحب أن يكون متصل السند على طريق أهل النقل، وضم ذلك إلى الوجادة، والخضر كان صغيراً حين سمعه من عبد الله، ولم يكن من المعمرين المشهورين بالعلم ولا هو من الشيوخ، وقد روى الخلال عنه

غير هذا في جامعه[١].

ثم قال رحمه الله: ومما يدل على صحة هذا الكتاب ما ذكره القاضي أبو الحسين ابن القاضي أبي يعلى، فقال: قرأت في كتاب أبي جعفر محمد بن أحمد بن صالح بن أحمد بن حنبل، قال: قرأت على أبي صالح بن أحمد بن حنبل هذا الكتاب، وقال: هذا كتاب عمله أبي في محبسه[٢] ردًّا على من احتج بظاهر القرآن وترك ما فسره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما يلزم اتباعه[٣].

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٢٠٨ـ٢٠٩).

(٢) في الأصل: «مجلسه» والصواب: محبسه كما ثبت ذلك عند ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة النبوية (٣/ ١٠٨) ومجموع الفتاوى (١٢/ ٤٤٠ ـ ٤٤١).

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٢١٠ـ٢١١).

ترجمة الإمام أحمد بن حنبل

رحمه الله

هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، أبو عبد الله إمام المحدثين، الناصر للدين، والمناضل عن السنة، والصابر في المحنة، مروزي الأصل، قدمت أمه بغداد وهي حامل، فولدته، ونشأ بها، وطلب العلم، وسمع الحديث من شيوخها، ثم رحل إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة، فكتب عن علماء ذلك العصر.

توفي أبوه محمد بن حنبل وله ثلاثون سنة فوليته أمه[١].

ولد في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة.

قال أبو بكر المروزي: قال لي أبو عبد الله: كنت وأنا غليم أختلف إلى الكتاب، ثم أختلف إلى الديوان وأنا ابن أربع عشرة سنة[٢].

وطلبت الحديث وأنا ابن ست عشرة سنة[٣].

أما علمه وإمامته في الدين:

فقد قال عنه إبراهيم الحربي: رأيت أبا عبد الله كأن الله جمع له

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٤١٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ١١/ ١٨٥ ومناقب الإمام أحمد ص٤٤.

(٣) مناقب الإمام أحمد ص٤٦.

علم الأولين والآخرين من كل صنف[١].

وقال الشافعي: أحمد إمام في ثمان خصال: إمام في الحديث، وإمام في الفقه، وإمام في اللغة، وإمام في القرآن، وإمام في الفقر، وإمام في الزهد، وإمام في الورع، وإمام في السنة[٢].

وقال صالح وعبد الله ابنا أحمد بن حنبل: إن أباهما كتب بخطه ألف ألف حديث.

وقال أبو زرعة لعبد الله بن أحمد: أبوك يحفظ ألف ألف حديث[٣].

وقال عبد الله بن داود الخريبي: كان الأوزاعي أفضل أهل زمانه، وكان بعده أبو إسحاق الفزاري أفضل أهل زمانه.

قال نصر بن علي: وأنا أقول: كان أحمد بن حنبل أفضل أهل زمانه...

وقال قتيبة: لولا الثوري لمات الورع، ولولا أحمد بن حنبل لأحدثوا في الدين.

قلت: (القائل هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن شبويه): تضم أحمد بن حنبل إلى أحد التابعين؟ فقال: إلى كبار التابعين...

وقال أيضاً أي قتيبة: أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه إماما

---

(١) سير أعلام النبلاء ١١/ ١٨٨.

(٢) طبقات الحنابلة ١/ ٥.

(٣) سير أعلام النبلاء ١١/ ١٨٨، وتاريخ بغداد ٤/ ٤١٩.

الدنيا . . .

وقال الميموني: سمعت علي بن المديني يقول: ما قام أحد بأمر الإسلام بعد رسول الله ﷺ ما قام أحمد بن حنبل.

قال: قلت له: يا أبا الحسن ولا أبو بكر الصديق؟!

قال: ولا أبو بكر الصديق، إن أبا بكر الصديق كان له أعوان وأصحاب، وأحمد بن حنبل لم يكن له أعان ولا أصحاب[١].

وقال الشافعي: خرجت من بغداد وما خلفت بها أحداً أتقى ولا أورع ولا أفقه ولا أعلم من أحمد بن حنبل . . .

وقال أحمد بن سعيد الدارمي: ما رأيت أسود الرأس أحفظ لحديث رسول الله ﷺ ولا أعلم بفقهه ومعانيه من أبي عبد الله أحمد بن حنبل[٢].

وقال علي بن المديني عن أحمد بن حنبل: هو أفضل عندي من سعيد بن جبير في زمانه، لأن سعيد كان له نظراء، وأن هذا ليس له نظير.

وقال: إن الله أيد هذا الدين برجلين لا ثالث لهما: أبو بكر الصديق يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة[٣].

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: انتهى العلم إلى أربعة: أحمد بن

---

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٤١٧، ٤١٨.

(٢) تاريخ بغداد ٤/ ٤١٩.

(٣) مناقب أحمد بن حنبل ١٤٨، ١٤٩.

حنبل، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، وأبي بكر بن أبي شيبة، كان أحمد أفقههم[١].

وقال قتيبة بن سعيد: إذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل فاعلم أنه صاحب سنة وجماعة[٢].

وقال أبو الحسن الأشعري رحمه الله: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي بها ندين التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان عليه الإمام أحمد بن حنبل نضّر الله وجهه قائلون، ولمن خالف قوله مخالفون، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم وكبير مفهم[٣].

وقال أحمد بن إبراهيم الدورقي: من سمعتموه يذكر أحمد بن حنبل بسوء فاتهموه على الإسلام...

وقال سفيان بن وكيع: أحمد عندنا محنة، من عاب أحمد فهو عندنا فاسق...

وقال أبو الحسن الطرخاباذي الهمداني: أحمد بن حنبل محنة، به

---

(١) مناقب الإمام أحمد ١٥١.

(٢) مناقب الإمام أحمد ١١١.

(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٢/ ١٥، ٢/ ٣٣٤).

يعرف المسلم من الزنديق.

أما مؤلفاته: فهي كثيرة، أشهرها المسند، وهو يشتمل على ما يقارب أربعين ألف حديث، وكتاب الزهد، وفضائل الصحابة، والعلل ومعرفة الرجال، والورع، والرد على الجهمية[١]، والسنة، والصلاة وكتب المسائل برواية ابنه عبد الله، وابنه صالح، وأبي داود السجستاني، وإسحاق بن إبراهيم بن هانىء، وإسحاق بن منصور الكوسج، ورواية أبي القاسم، وغير ذلك كثير، قاربت الخمسين كتاباً أو تزيد.

أما شيوخه: الذين روى عنهم في المسند مئتان وثمانون ونيف، كما ذكره الحافظ الذهبي في السير[٢] وحدَّث عنه شيوخه، الشافعي وعبد الرزاق.

أما تلاميذه: فهم كثير، لا يحصون عدداً، ولكن أبرزهم وأشهرهم: البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي[٣].

وأما محنته في مسألة خلق القرآن: فقد تعرض لأصناف التعذيب وأنواع التهديد والتنكيل ما لم يتعرض لمثله أحد. فقد دعا المأمون إلى القول بخلق القرآن، ولكنه مات قبل أن يناظر الإمام أحمد، وعندما تولى المعتصم سجن الإمام أحمد قرابة ثلاثين شهراً، وضرب ظهره

---

(١) ذكره ابن النديم في الفهرست (ص٢٨١).

(٢) سير أعلام النبلاء ١١/ ١٨٠ـ١٨١.

(٣) مناقب الإمام أحمد ١١٥ـ ١٢٤ وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٨١.

بالسياط، وثبت ثبوت الجبال الشوامخ، وخرج من المحنة كالذهب الخالص، ولم يستعمل التَّقِيَّة، بل لم تأخذه في الله لومة لائم.

قال ابن كثير: وكان الذين ثبتوا على الفتنة فلم يجيبوا بالكلية: أربعة، وقيل خمسة: أحمد بن حنبل، وهو رئيسهم، ومحمد بن نوح بن ميمون الجند بسابوري ومات في الطريق، نوح بن حماد الخزاعي وقد مات في السجن، وأبو يعقوب وقد مات في سجن الواثق على القول بخلق القرآن، وكان مثقلاً بالحديد، وأحمد بن نصر الخزاعي[(١)].

وقال ابن تيمية: فإنه أعطي من الصبر واليقين ما يستحق به الإمامة في الدين، وقد تداوله ثلاثة خلفاء مسلطون من شرق الأرض إلى غربها، ومعهم من العلماء المتكلمين والقضاة والوزراء والسعاة والأمراء والولاة من لا يحصيهم إلا الله، فبعضهم بالحبس، وبعضهم بالتهديد الشديد بالقتل وغيره، وبعضهم بالتشريد والنفي[(٢)].

أما وفاته: فقد توفي ـ رحمه الله ـ في يوم الجمعة الموافق الثاني عشر من ربيع الأول سنة ٢٤١هـ عن سبع وسبعين سنة، وكانت جنازته حافلة مشهودة، بلغ من حضر من الرجال ثمانمائة ألف، ومن النساء ستين ألف امرأة[(٣)].

---

(١) البداية والنهاية ١٠/ ٣٣٥.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٢/ ٤٣٩.

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٤٢٢.

ذكر شيء من محنة أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله وحجاجه لابن أبي دؤاد وأصحابه بحضرة المعتصم[(١)]

قال ابن بطة رحمه الله: حدثنا أبو حفص عمر بن محمد بن رجاء؛ قال: حدثنا أبو نصر ـ عصمة بن أبي عصمة ـ؛ قال: حدثنا أبو العباس ـ الفضل بن زياد ـ؛ قال: حدثنا أبو طالب ـ أحمد بن حميد ـ؛ قال: «قال لي أحمد بن حنبل: يا أبا طالب! ليس شيء أشد عليهم مما أدخلت عليهم حين ناظروني، قلت لهم: علم الله مخلوق؟ قالوا: لا. قلت: فإن علم الله هو القرآن. قال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١].

وقال: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٥﴾ [البقرة: ١٤٥] هذا في القرآن في غير موضع من العلم.

وحدثني أبي رحمه الله؛ قال: حدثنا أبو جعفر ـ محمد بن الحسن بن بدينا ـ؛ قال: حدثنا صالح بن أحمد؛ قال: حدثني أبي؛ قال: «قال لهم ـ يعني: المعتصم ـ: كلموه، فقال لي عبد الرحمن: ما تقول في القرآن؟ فقلت: ما تقول في علم الله؟ فسكت.

---

(١) هذا العنوان من الإبانة (٢/ ٢٤٩).

قال: فقال لي بعضهم: قال الله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢]؛ فالقرآن أليس هو شيئاً؟ فقلت: قال الله عز وجل: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ﴾ [الأحقاف: ٢٥]؛ فهل دمرت إلا ما أتت عليه.

فقال لي بعضهم: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]؛ أفيكون محدث إلا مخلوقاً؟ قال: فقلت لهم: قال الله عز وجل: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١﴾ [ص: ١]؛ فالذكر هو القرآن، وتلك ليس فيها ألف ولا لام».

حدثنا أبو عمرو ـ حمزة بن القاسم ـ؛ قال: حدثنا حنبل؛ قال: حدثنا أبو عبد الله بنحو هذه القصة؛ قال: «فقلت لهم: هذا نكرة، فقد يكون على جميع الذكر، والذكر معرفة وهو القرآن».

وأخبرني أبو عمرو[1] ـ عثمان بن عمر الدراج ـ؛ قال: حدثنا أبو بكر ـ أحمد بن محمد بن هارون الخلال ـ؛ قال: كتب إليَّ أحمد بن الحسين الوراق ـ من الموصل ـ؛ قال: حدثنا بكر بن محمد بن الحكم عن أبيه عن أبي عبد الله؛ قال: سألته عما احتج به حين دخل على هؤلاء؛ فقال: «احتجوا عليَّ بهذه الآية: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]؛ أي: أن القرآن محدث، فاحتججت عليهم بهذه الآية: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [ص: ١]؛ قلت: فهو سماه الذكر، وقلت: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾؛ فهذا يمكن أن

---

(١) في الإبانة (٢/ ٢٥٠): (عمر) والمثبت هو الصواب، انظر: تاريخ بغداد (١١/ ٣٠٥ رقم ٦٠٩٨).

يكون غير القرآن محدث، ولكن ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١﴾؛ فهو القرآن، ليس هو محدثاً؛ قال: فبهذا احتججت عليهم.

واحتجوا عليَّ: ما خلق الله من سماء ولا أرض ولا كذا أعظم من آية الكرسي؛ قال: فقلت له: إنه لم يجعل آية الكرسي مخلوقة، إنما هذا مثل ضربه؛ أي: هي أعظم من أن تخلق، ولو كانت مخلوقة لكانت السماء أعظم منها؛ أي: فليست بمخلوقة.

قال: واحتجوا عليَّ بقول: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢].

فقلت: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ﴾ [الذاريات: ٤٩]؛ فخلق من القرآن زوجين، ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النمل: ٢٣]؛ فأوتيت القرآن؟ فأوتيت النبوة؟ أوتيت كذا وكذا؟

وقال الله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ﴾ [الأحقاف: ٢٥]؛ فدمرت كل شيء؟ إنما دمرت ما أراد الله من شيء؛ قال: وقال لي ابن أبي دؤاد: أين تجد أن القرآن كلام الله؟

قلت: ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧]؛ فسكت. وقلت له بين يدي الرئيس، وجرى كلام بيني وبينه، فقلت له: اجتمعت أنا وأنت: أنه كلام. وقلتَ: إنه مخلوق؛ فهاتوا الحجة من كتاب الله أو من السنة؛ فما أنكر ابن أبي دؤاد ولا أصحابه أنه كلام.

قال: وكانوا يكرهون أن يظهروا أنه ليس بكلام فيشنع عليهم».

حدثنا حمزة بن القاسم؛ قال: حدثنا حنبل؛ قال: «قال

أبو عبد الله: وكان إذا كلمني ابن أبي دؤاد لم أجبه ولم ألتفت إلى كلامه، فإذا كلمني أبو إسحاق؛ ألنت له القول والكلام.

قال: فقال لي أبو إسحاق: لئن أجبتني لآتينك في حشمي ومَوالي، ولأطأن بساطك: ولأنوهن[1] باسمك، يا أحمد! اتق الله في نفسك، يا أحمد! الله الله.

قال أبو عبد الله: وكان لا يعلم ولا يعرف، ويظن أن القول قولهم، فيقول: يا أحمد! إني عليك شفيق.

فقلت: يا أمير المؤمنين! هذا القرآن وأحاديث رسول الله ﷺ وأخباره؛ فما وضح من حجة صرت إليها.

قال: فيتكلم هذا وهذا.

قال: فقال ابن أبي دؤاد لما انقطع وانقطع أصحابه: والذي لا إله إلا هو؛ لئن أجابك لهو أحب إليَّ من مئة ألف ومئة ألف عدداً مراراً كثيرة.

قال أبو عبد الله: وكان فيما احتججت عليهم يومئذ؛ قلت لهم: قال الله عز وجل: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وذلك أنهم قالوا لي: أليس كل ما دون الله مخلوق؟ فقلت لهم: فرق بين الخلق والأمر، فما دون الله مخلوقاً؛ فأما القرآن؛ فكلامه ليس بمخلوق.

فقالوا: قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن

---

(١) في الإبانة (٢/ ٢٥٣): ولا نوهن. وما ذكرته هو الصواب.

فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ [النحل: ٤٠].

فقلت لهم: قال الله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١]؛ فأمره كلامه واستطاعته ليس بمخلوق، فلا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؛ فقد نهينا عن ذلك».

قال حنبل: «وقال أبو عبد الله: واحتججت عليهم فقلت: زعمتم أن الأخبار تردونها باختلاف أسانيدها، وما يدخلها من الوهم والضعف؛ فهذا القرآن نحن وأنتم مجمعون عليه، وليس بين أهل القبلة فيه خلاف، وهو الإجماع.

قال الله عز وجل في كتابه تصديقاً منه لقول إبراهيم غير دافع لمقالته ولا لما حكى عنه؛ فقال: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم: ٤٢]؛ فذم إبراهيم أباه أن عبد ما لا يسمع ولا يبصر؛ فهذا منكر عندكم. فقالوا: شبَّه، شبَّه يا أمير المؤمنين.

فقلت: أليس هذا القرآن؟ هذا منكر عندكم مدفوع، وهذه قصة موسى؛ قال الله عز وجل لموسى في كتابه حكاية عن نفسه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾ [النساء: ١٦٤]؛ فأثبت الله الكلام لموسى كرامة منه لموسى، ثم قال: يا موسى! ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه: ١٤]؛ فتنكرون هذا، فيجوز أن تكون هذه الياء راجعة ترد على غير الله، أو يكون مخلوق يدعي الربوبية؟ وهل يجوز أن يقول هذا غير الله؟ وقال له: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ﴾ [النمل: ١٠]، ﴿إِنِّيٓ[1] أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ [طه: ١٢].

---

(١) في الإبانة: إنني.

فهذا كتاب الله يا أمير المؤمنين؛ فيجوز أن يقول لموسى: أنا ربك مخلوق، وموسى كان يعبد مخلوقاً، ومضى إلى فرعون برسالة مخلوق يا أمير المؤمنين؟ قال: فأمسكوا، وأداروا بينهم كلاماً لم أفهمه.

قال أبو عبد الله: والقوم يدفعون هذا وينكرونه، ما رأيت أحداً طلب الكلام واشتهاه إلا أخرجه إلى أمر عظيم، لقد تكلموا بكلام، واحتجوا بشيء ما يقوى قلبي ولا ينطق لساني أن أحكيه، والقوم يرجعون إلى التعطيل في أقاويلهم، وينكرون الرؤية والآثار كلها، ما ظننت أنه هكذا حتى سمعت مقالاتهم.

قال أبو عبد الله: قيل لي يومئذ: كان الله ولا قرآن: فقلت له: كان الله ولا علم؟ فأمسك، ولو زعم غير ذلك أن الله كان ولا علم؛ لكفر بالله.

قال أبو عبد الله: وقلت له ـ يعني: لابن الحجام ـ: يا ويلك، لا يعلم حتى يكون فعلمه وعلمك واحد، كفرت بالله عالم السر وأخفى، عالم الغيب والشهادة، علام الغيوب، ويلك، يكون علمه مثل علمك، تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

قال أبو عبد الله: فهذه أليست مقالته؟

قال أبو عبد الله: وهذا هو الكفر بالله، ما ظننت أن القوم هكذا. لقد جعل برغوث يقول يومئذ: الجسم كذا وكلام لا أفهمه؛ فقلت: لا أعرف ولا أدري ما هذا، إلا أنني أعلم أنه أحد صمد، لا شبه له ولا عدل، وهو كما وصف نفسه؛ فيسكت عني.

قال: فقال لي شعيب: قال الله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]؛ أفليس كل مجعول مخلوقاً؟

قلت: فقد قال الله: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾ [الأنبياء: ٥٨]؛ أفخلقهم؟ ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝﴾ [الفيل: ٥]؛ أفخلقهم؟ أفكل مجعول مخلوق؟ كيف يكون مخلوقاً وقد كان قبل أن يخلق الجعل؟ قال: فأمسك».

وأخبرني أبو عمرو[1] ـ عثمان بن عمر ـ؛ قال: حدثنا أبو بكر ـ أحمد بن محمد بن هارون ـ؛ قال: أخبرني علي بن أحمد ـ أبو غالب ـ؛ قال: حدثني محمد بن يوسف المروزي ـ المعروف بابن سرية ـ؛ قال: «دخلت على أبي عبد الله والجبائر على ظهره؛ قال لي: يا أبا جعفر! أشاط القوم بدمي؛ فقالوا له ـ يعني المعتصم ـ: يا أمير المؤمنين! سله عن القرآن؛ أشيء هو أو غير شيء؟

قال: فقال لي المعتصم: يا أحمد! أجبهم.

قال: فقلت له: يا أمير المؤمنين! إن هؤلاء لا علم لهم بالقرآن، ولا بالناسخ والمنسوخ، ولا بالعام والخاص، قد قال الله عز وجل في قصة موسى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥]؛ فما كتب له القرآن.

وقال في قصة سبأ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]

---

(١) في الإبانة (٢/ ٢٥٧): عمر والصواب المثبت وقد تقدم.

وما أوتيت القرآن؛ فأخرسوا».

حدثني أبي رحمه الله؛ قال: حدثنا أبو جعفر ـ محمد بن الحسن بن بدينا [(١)] ـ؛ قال: حدثنا صالح بن أحمد أن أباه قال: «قال لي رجل منهم: أراك تذكر الحديث وتنتحله. قال: فقلت له: ما تقول في قول الله عز وجل: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ [النساء: ١١]؛ فقال: خص الله بها المؤمنين؛ قال: قلت: فما تقول إن كان قاتلاً أو عبداً أو يهوديًا أو نصرانيًا؟ فسكت».

وأخبرني أبو عمرو ـ عثمان بن عمر ـ؛ قال: حدثنا أبو بكر ـ أحمد بن محمد بن هارون الخلال؛ قال: أخبرنا محمد بن جعفر؛ قال: سمعت هرثمة بن خالد ـ قرابة إسحاق بن داود ـ وكنا جميعاً أنا وإسحاق؛ قال: قال أحمد بن حنبل: «قال لي ابن أبي دؤاد ـ وهم يناظروني ـ وقد كنت قلت لهم: أوجدوني ما تقولون في كتاب الله أو في سنة رسول الله، أوجدني أنت يا ابن حنبل في علمك أن هذا البساط الذي نحن عليه مخلوق؟ قال: قلت: نعم. قال الله عز جل: ﴿وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ۝٨٠﴾ [النحل: ٨٠]؛ قال: فكأني ألقمته حجراً».

حدثنا أبو إسحاق ـ إبراهيم بن إسحاق الشيرجي الخصيب ـ؛ قال: حدثنا أبو بكر ـ محمد بن الحجاج المروذي ـ؛ قال: «قال لي

---

(١) في الإبانة (٢/٢٥٨): بديناً، منوناً، وهو خطأ، انظر: تاريخ بغداد (٢/١٩١ ـ ١٩٢ رقم ٦١٥).

أبو عبد الله: مكثت ثلاثة أيام يناظرونني. قلت: فكان يدخل إليك بالطعام؟ قال: لا. قلت: فكنت تأكل شيئاً؟ قال: مكثت يومين لا أطعم، ومكثت يومين لا أشرب، ومكثت ثلاثة أيام يناظرونني بين يديه ـ يعني: الرأس أبا إسحاق ـ، وقد جمعوا عليَّ نحواً من خمسين بصريًّا وغير ذلك ـ يعني من المناظرين ـ، وفيهم الشافعي الأعمى[1]؛ فقلت له: كلهم يناظرونك بالليل؟ قال: نعم كل ليلة، وكان فيهم الغلام غسان ـ يعني: قاضي الكوفة ـ، وقال: إنما كان الأمر أمر ابن أبي دؤاد، قلت له: كانوا كلهم يكلمونك؟ قال: نعم، هذا يتكلم من هاهنا، وهذا يحتج من هاهنا، وهذا يتأول على آية، وعجيف عن يمينه، وإسحاق عن يساره قائم، ونحن بين يديه ـ يعني: أبا إسحاق ـ؛ فسألني غير مرة؛ فقلت: أوجدني في كتاب أو سنة؛ فقال لي إسحاق وعجيف: وأنت لا تقول إلا ما كان في كتاب أو سنة؟

قلت لهم: ناظروني في الفقه أو في العلم.

فقال عجيف: أنت وحدك تريد أن تغلب هؤلاء الخلق كلهم، وَلَزَّني بقائمة سيفه، وأشار أبو عبد الله إلى عنقه يريني بيده هكذا، ثم قال إسحاق بن إبراهيم: وأنت لا تقول إلا ما كان في كتاب أو سنة، ولكزني بقائمة سيفه ـ وأومأ أبو عبد الله إلى حلقه ـ؛ قلت: فكان

---

(١) قال محقق الإبانة في حاشيته (٢/ ٢٥٩): الشافعي الأعمى من أصحاب ابن أبي دؤاد وهو أحد الرجلين الذين كانا يناظران الإمام أحمد في دار إسحاق بن إبراهيم، وهما: أحمد بن رباح وأبو شعيب الحجام.

أبو إسحاق يتكلم؟ قال: لا، إلا ساكت، إنما كان الأمر أمر ابن أبي داؤد.

ثم قال أبو عبد الله: لم يكن فيهم أحد أرق علي من أبي إسحاق مع أنه لم يكن فيهم رشيد.

قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: لما قلت: لا أتكلم إلا ما كان في كتاب أو سنة: احتج الأعمى الشافعي بحديث عمران بن حصين، خلق الله الذكر. قال: فقلت له: هذا خطأ رواه الثوري وأبو معاوية، وإنما وهم فيه محمد بن عبيد، وقد نهيته أن يحدث به. قال: فقال أبو إسحاق: أراه فقيهاً».

وأخبرني أبو عمرو ـ عثمان بن عمر ـ؛ قال: حدثنا أحمد بن محمد بن هارون؛ قال: «وكتب إليَّ أحمد بن الحسين الوراق من الموصل؛ قال: حدثنا بكر بن محمد عن أبيه عن أبي عبد الله؛ قال: واجتمع عليَّ خلق من الخلق، وأنا بينهم مثل الأسير، وتلك القيود قد أثقلتني؛ قال: وكان يلغطون ويضحكون، وكل واحد منهم ينزع آية، وآخر يجيء بحديث؛ قال: والرئيس يسكتهم.

قال: فكان هذا يقول شيئاً، وهذا يقول شيئاً، وهذا يقول شيئاً، فقال لي واحد منهم: أليس يروى عن أبي السليل عن عبد الله بن رباح عن أبي كعب؟ فقلت: وأنت ما يدريك من أبو السليل؟ ومن عبد الله ابن رباح؟ ومالك ولهذا؟ قال: فسكت.

وقال لي آخر: ما خلق الله من سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي؛ فقلت: إنما هذا مثل؛ فسكت.

واحتج علي آخر بحديث الطنافسي عن الأعمش عن جامع حديث عمران بن حصين أن الله خلق الذكر.

فقلت: هذا وهم فيه ـ يعني: الطنافسي ـ وأبو معاوية يقول: كتب الله الذكر. قال: وكنت أصيح عليهم، وأرفع صوتي، وكان أهون عليَّ من كذا وكذا، وذهب الله بالرعب من قلبي، حتى لم أكن أبالي بهم ولا أهابهم، فلما يئسوا مني واجتمعوا عليَّ؛ قال لي عبد الرحمن: ما رأيت مثلك قط، من صنع ما صنعت؟ قلت له: القرآن، قد اجتمعت أنا وأنتم على أنه كلام الله، وزعمتم أنه مخلوق؛ فهاتوه من كتاب أو سنة، فقال لي ابن أبي دؤاد: وأنت تجد في كل شيء كتاباً وسنة؟

فلما يئس مني؛ قال: خذوه، وأدخل الأتراك أيديهم في أقيادي فجروني إلى موضع بعيد، وذكر قصة الضرب».

وأخبرني أبو عمرو ـ عثمان بن عمر ـ؛ قال: حدثنا أحمد بن محمد بن هارون؛ قال: وأخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الحميد الكوفي؛ قال: «سمعت عبيد بن محمد القصير قال: سمعت من حضر مجلس أبي إسحاق يوم ضرب أحمد بن حنبل؛ فقال له أبو إسحاق: يا أحمد! إن كنت تخشى من هؤلاء النابتة جئتك أنا في جيشي إلى بيتك حتى أسمع منك الحديث.

قال: فقال له: يا أمير المؤمنين! خذ في غير هذا واسأل عن العلم واسأل عن الفقه؛ أي شيء تسأل عن هذا؟

قال عبيد بن محمد: وسمعت من حضر مجلس أبي إسحاق يوم

ضرب أحمد بن حنبل؛ قال: التفت إليه المعتصم؛ فقال: تعرف هذا؟ قال: لا. قال: تعرف هذا؟ قال: لا. فالتفت أحمد فوقعت عينه على ابن أبي دؤاد فحول وجهه، فكأنما وقعت عينه على قرد؛ قال: تعرف هذا ـ يعني: عبد الرحمن ـ؟ قال: نعم. قال: قل: الله رب القرآن؛ قال: القرآن كلام الله. قال: فشهد ابن سماعة وقتلته؛ فقالوا: قد كفر، اقتله ودمه في أعناقنا».

وحدثني أبي؛ قال: حدثنا أبو جعفر بن بدينا أن صالح بن أحمد حدثهم؛ قال: «أخبرني رجل حضره؛ قال: تفقدته في هذه الأيام الثلاثة وهم يناظرونه ويكلمونه؛ فما لحن في كلمة، وما ظننت أن أحداً يكون في شجاعته وشدة قلبه».

وحدثنا أبو إسحاق ـ إبراهيم بن إسحاق الشيرجي ـ؛ قال: حدثنا أبو بكر المروذي؛ قال: «كان أبو عبد الله لا يلحن في الكلام؛ قال: وأخبرت أنه لما نوظر بين يدي الخليفة لم يتعلق عليه بلحن، حتى حكي أنه جعل يقول: فكيف أقول ما لم يقل؟!».

قال أبو بكر المروذي: وقال لي ابن أبي حسان الوراق: «طلب مني أبو عبد الله وهو في السجن كتاب حمزة في العربية؛ فدفعته إليه، فنظر فيه قبل أن يمتحن».

أخبرني أبو عمرو ـ عثمان بن عمر ـ؛ قال: حدثنا أبو بكر ـ أحمد بن محمد بن هارون ـ، وأخبرنا محمد بن علي السمسار؛ قال: «رأيت شيخاً قد جاء إلى أبي عبد الله وهو مريض؛ فجعل يبكي

وقال: إنه ممن حضر ضربه، فلما خرج سمعته يقول: والله؛ لقد كلمت ثلاثة من الخلفاء ووطئت بسطهم ما هبتهم وما دخلني من الرعب ما دخلني منه وهو مسجى، والله؛ لقد رأيته يناظر وهو عال عليهم قوي القلب، والمعتصم يكلمه ويقول: أجبني إلى ما أسألك، أو شيء منه؛ فيقول: لا أقول إلا ما في كتاب الله أو سنة رسول الله؛ فيقول له: لا تقول القرآن مخلوق؟ فيقول له: وكيف أقول ما لم يقل؟!

قال الرجل: فقلت لرجل كان إلى جانبي: ما تراه ما يرهب ما هو فيه، ولا يلحن في مثل هذا الوقت، والسياط والعقابين بين يديه، وليس في يده منه شيء».

حدثنا أبو إسحاق ـ إبراهيم بن إسحاق الشيرجي ـ؛ قال: حدثنا المروذي؛ قال: «سمعت أبا عبد الله يقول: لما ضربت كانا جلادين يضرب كل واحد منهما سوطاً ويتنحى، ويضرب الآخر سوطاً ويتنحى.

قلت: قام إليك أبو إسحاق مرتين؟

قال: أما مرة؛ فأحفظ أنه خرج إلى الرواق، وقال: خذوه، فأخذوه بضبعي وجروني نحواً من مئة ذراع إلى العقابين فخلعوني، وأنا أجد ذلك في كتفي إلى الساعة، وكان عليَّ شعر كثير، وانقطعت تكتي، فقلت: الآن تسود ـ يعني: وهو بينهم ـ.

قلت: من ناولك خيطاً في ذلك الموضع؟

قال: لا أدري فشددت سراويلي، وأخبرت أنهم خلعوا القميص ولم يخرقوه، وكان في كمه شعر النبي ﷺ».

قال المروذي: «وبلغني عن يعقوب الفرس؛ قال: سمعت عيسى الفتاح يقول: قال لي أبو عبد الله: «يا أبا موسى! ما رأيت هؤلاء قط، كان أشد علي من تلفت الجلاد، ثم يثب عليَّ».

قال: «وسمعت الفلاس يقول: سمعت عيسى الفتاح؛ قال: قال لي أبو عبد الله: قال أبو إسحاق: ما رأيت ابن أنثى أشجع من هذا الرجل».

قال المروذي: «وسمعت عيسى الجلاء يقول: رأى رجل في النوم قائلاً يقول: وإذا جماعة ناحية فجعل يقول: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الأنعام: ٨٩]، وأشار بيده إلى ابن أبي دؤاد وأصحابه: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ۝٨٩﴾ [الأنعام: ٨٩] أحمد بن حنبل وأصحابه».

قال المروذي: «وأخبرت عن زياد بن أبي بادويه القصري؛ قال: سمعت الحماني يقول: رأيت النبي ﷺ في المنام قد جاء فأخذ بعضادتي؛ فقال: نجا الناجون، وهلك الهالكون؛ فقلت: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي؛ من الناجون؟ قال: «أحمد بن حنبل وأصحابه».

قال المروذي: «وبلغني عن امرأة رأوها في النوم وقد شاب صدغها؛ فقيل لها: ما هذا الشيب؟ فقالت: لما ضرب أحمد بن حنبل زفرت جهنم زفرة لم يبق منا أحد إلا شاب».

وحدثنا أبو إسحاق الشيرجي؛ قال: حدثنا المروذي؛ قال: حدثنا أبو عمر المخرمي؛ قال: «كنت مع سعيد بن منصور ونحن في الطواف؛ قال: فسمعت هاتفاً يقول: ضرب أحمد بن حنبل اليوم

بالسياط؟ قال: فقال لي سعيد: أو ما سمعت أو سمعت؟ قلت: بلى. قال ـ يعني: سعيد بن منصور ـ: هذا من صالحي الجن أو من الملائكة، إن كان هذا حقًّا؛ فإن اليوم قد ضرب أحمد بن حنبل، فقال: فنظرنا فإذا قد ضرب في ذلك اليوم».

قال أبو عبد الله: «لما ضربت امتلأت ثيابي بالدماء، وكنت صائماً؛ فجاؤوا بسويق فلم أشرب، وأتممت صومي، وكان بعض الجيران ثم حاضراً، فأي شيء نزل به ـ يعني: لما امتنع أبو عبد الله من شرب السويق ـ لا أدري؛ إسحاق بن إبراهيم أو غيره؛ قال: وبلغني أنه لم يدخل على أبي عبد الله طعام في قصر إسحاق، وقد كان منع أن يدخل إليه، وقال: تأكل من طعامنا. قال أبو عبد الله: فمكثت يومين لا أطعم».

قال المروذي: «فقال لي النيسابوري ـ صاحب إسحاق بن إبراهيم ـ: قال لي الأمير: إذا جاؤوا بإفطاره فأرونيه؛ قال: فجاؤوا برغيفين وخبازة؛ قال: فأروه الأمير؛ فقال: هذا لا يجيبنا إذا كان هذا يقنعه».

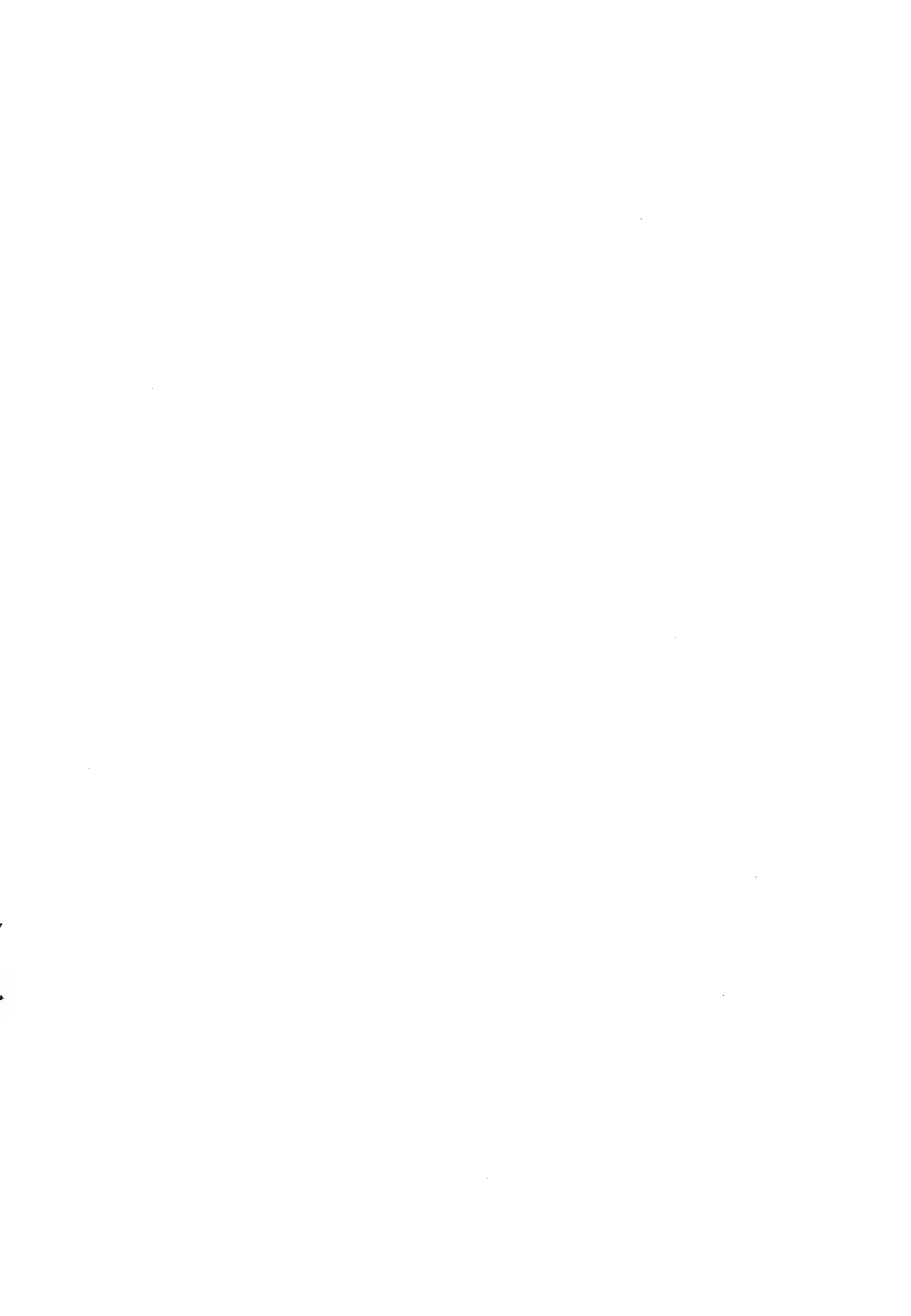
وأخبرني أبو عمرو ـ عثمان بن عمر ـ؛ قال: حدثنا أبو بكر ـ أحمد بن محمد بن هارون ـ؛ قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد عن أبي عبد الله، وذكر قصة طويلة؛ قال: «وجعل أولئك يلقون المسائل؛ قال: قلت: هذا مما لا أتكلم فيه؛ لأنه ليس في كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ.

فقلت لهم: أي شيء تقولون إذا دخلتم المسجد؟ وأي شيء تقولون إذا خرجتم من المسجد؟ فسكتوا.

قال: قلت: يا أمير المؤمنين! هؤلاء لا يدرون أي شيء يقولون إذا دخلوا المسجد وإذا خرجوا، يسألون عن القرآن؟ أمر القرآن أعظم» وذكر كلاماً كثيراً[١].

---

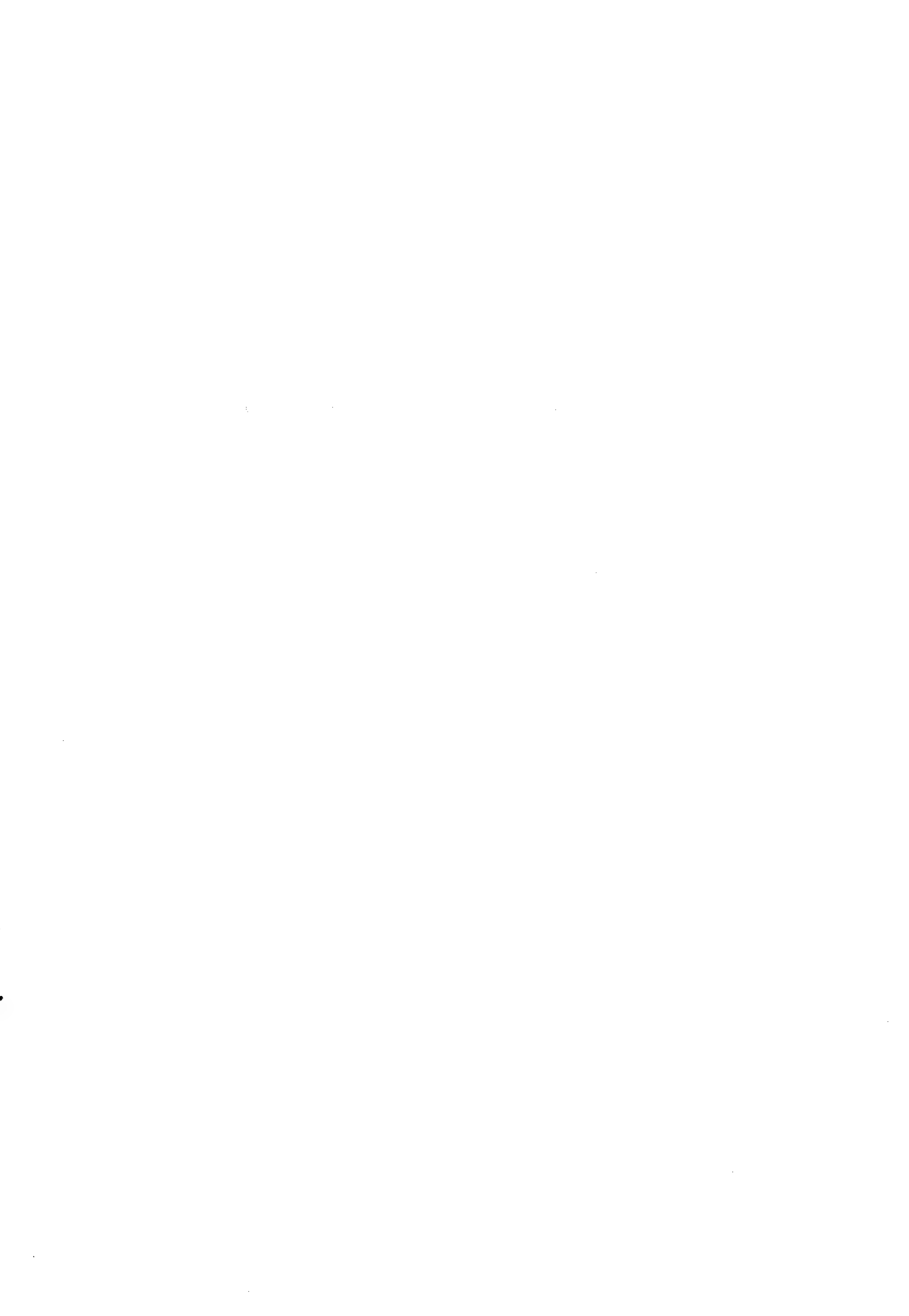
(١) ذكر محنة أحمد بن حنبل رحمه الله ابن بطة العكبري في كتاب «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (٢/ ٢٤٩ ـ ٢٦٨).



الرد على الجهمية والزنادقة
فيما شكوا فيه من متشابه القرآن
وتأولوه على غير تأويله

تأليف
إمام أهل السنة والجماعة
أحمـــد بـــن حنبـــل

تحقيق
صبري بن سلامة شاهين



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين:

قال الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني رضي الله عنه وأثابه الجنة، وغفر لنا وله بمنه وكرمه آمين:

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم(١).

ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل

---

(١) هذا هو شأن أهل الحق والخير في كل زمان ومكان، آثارهم على الناس حسنة طيبة وإن كانت آثار الناس عليهم سيئة قبيحة، فهذا هو ديدن أهل السنة وأخلاقهم، يحبون الخير للناس، ويحرصون على نفعهم وإيصال كل نافع ومفيد إليهم، وها هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: قال أبو هريرة: كنتم خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل حتى تدخلوهم الجنة، فيجاهدون لمنفعة الخلق وصلاحهم، وهم يكرهون ذلك لجهلهم، كما قال أحمد في خطبته: الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل... إلى قوله: فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم. إلى آخر كلامه، انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٦/ ٣١٧).

الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدع، وأطلقوا عقال[١] الفتنة فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب[٢]، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم[٣]

---

(١) في بعض النسخ: عنان.

(٢) إن من قواعد وأصول أهل السنة والجماعة إصلاح ذات البين وتأليف القلوب واجتماع الكلمة مفارقين في ذلك أهل البدع المختلفين في الكتاب المخالفين للكتاب والمجمعين على مفارقة الكتاب. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: تعلمون أن من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين: تأليف القلوب واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين، فإن الله يقول: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف وتنهى عن الفرقة والاختلاف، وأهل هذا الأصل هم أهل الجماعة، كما أن الخارجين عنه هم أهل الفرقة.
انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٨/ ٥٠).
وقال شيخ الإسلام أيضاً: ولو اعتصموا بالكتاب والسنة لاتفقوا كما اتفق أهل السنة والحديث، فإن أئمة السنة والحديث لم يختلفوا في شيء من أصول دينهم، ولهذا لم يقل أحد منهم: إن الله جسم ولا قال: إن الله ليس بجسم. بل أنكروا النفي لما ابتدعته الجهمية من المعتزلة وغيرهم، وأنكروا ما نفته الجهمية من الصفات مع إنكارهم على من شبه صفاته بصفات خلقه، مع أن إنكارهم كان على الجهمية المعطلة أعظم منه على المشبهة، لأن مرض التعطيل أعظم من مرض التشبيه.
انظر: درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٣٦٧).

(٣) قال ابن القيم رحمه الله: وقد حرَّم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء، وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا منها، فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣].
فرتب المحرمات أربع مراتب، وبدأ بأسهلها وهو الفواحش، ثم ثنَّى بما هو أشد تحريماً منه وهو الإثم والظلم، ثم ثلّث بما هو أعظم تحريماً منهما وهو الشرك به سبحانه، ثم ربَّع بما هو أشد تحريماً من ذلك كله، وهو القول عليه بلا علم.

=

يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن الضالين.

* * *

= وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله، وفي دينه وشرعه.
انظر: إعلام الموقعين (١/ ٣٨).
وقال أيضاً رحمه الله: وأما القول على الله بلا علم فهو أشد هذه المحرمات تحريماً وأعظمها إثما، ولهذا ذكر في المرتبة الرابعة من المحرمات التي اتفقت عليها الشرائع والأديان ولا تباح بحال، بل لا تكون إلا محرمة، وليست كالميتة والدم ولحم الخنزير، الذي يباح في حال دون حال، فإن المحرمات نوعان: محرم لذاته لا يباح بحال، ومحرم تحريماً عارضاً في وقت دون وقت. قال الله تعالى في المحرم لذاته: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم منه فقال: ﴿ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم منه فقال: ﴿ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم فقال: ﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ فهذا أعظم المحرمات عند الله وأشد إثماً، فإنه يتضمن الكذب على الله ونسبته إلى ما لا يليق به، وتغيير دينه ونفي ما أثبته وإثبات ما نفاه، وتحقيق ما أبطله وإبطال ما حققه وعداوة من والاه، وموالاة من عاداه، وحب ما أبغضه وبغض ما أحبه، ووصفه بما لا يليق به في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله.
فليس من أجناس المحرمات أعظم عند الله منه ولا أشد إثماً، وهو أصل الشرك والكفر، وعليه أسست البدع والضلالات، فكل بدعة مضلة في الدين أساسها القول عل الله بلا علم.
ولهذا اشتد نكير السلف والأئمة لها وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض وحذروا فتنتهم أشد تحذير، وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا في إنكار الفواحش والظلم والعدوان، إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد.
انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٧٢).

باب بيان ما ضلت فيه الزنادقة[(١)]

---

(١) قال الفيروزآبادي: الزنديق، بالكسر: من الثنوية أو القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية، أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان أو هو معرب: زن دين أي: دين المرأة ج: زنادقة أو زناديق، وقد تزندق، والاسم الزندقة ورجل زنديق وزندقي: شديد البخل.
انظر: القاموس المحيط (ص٨٩١) زنق.
قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قوله بزنادقة. بزاي ونون وقاف جمع زنديق بكسر أوله وسكون ثانيه. قال أبو حاتم السجستاني وغيره: الزنديق فارسي معرب أصله «زنده كرد» أي: يقول بدوام الدهر، لأن زنده: الحياة. وكرد: العمل. ويطلق على من يكون دقيق النظر في الأمور. وقال ثعلب: ليس في كلام العرب زنديق، وإنما قالوا زندقي لمن يكون شديد التحيل، وإذا أرادوا ما تريد العامة قالوا: ملحد ودهري، بفتح الدال أي يقول بدوام الدهر، وإذا قالوها بالضم أرادوا كبر السن. وقال الجوهري: الزنديق من الثنوية، كذا قال وفسره بعض الشراح بأنه الذي يدعي أنه مع الله إلها آخر. وتعقب بأنه يلزم منه أن يطلق على كل مشرك. والتحقيق ما ذكره من صنف في الملل أن أصل الزنادقة أتباع ديصان ثم ماني ثم مزدك. الأول بفتح الدال وسكون المثناة التحتانية بعدها صاد مهملة، والثاني بتشديد النون وقد تخفف والياء خفيفة. والثالث بزاي ساكنة ودال مهملة مفتوحة ثم كاف. وحاصل مقالتهم أن النور والظلمة قديمان، وأنهما امتزجا فحدث العالم كله منهما فمن كان من أهل الشر فهو من الظلمة، ومن كان من أهل الخير فهو من النور. وأنه يجب السعي في تلخيص النور من الظلمة فيلزم إزهاق كل نفس، وإلى ذلك أشار المتنبي حيث قال في قصيدته المشهورة:

وكم لظلام الليل عندك من يد   تخبر أن المانوية تكذب

وكان بهرام جد كسرى تحيل على ماني حتى حضر عنده وأظهر له أنه قبل مقالته، ثم قتله وقتل أصحابه، وبقيت منهم بقايا اتبعوا مزدك المذكور، وقام الإسلام والزنديق يطلق على من يعتقد ذلك، وأظهر جماعة منهم الإسلام خشية القتل، ومن ثم أطلق الاسم على كل من أسر الكفر وأظهر الإسلام حتى قال مالك: الزندقة ما كان عليه المنافقون. وكذا أطلق جماعة من الفقهاء الشافعية وغيرهم أن الزنديق هو الذي يظهر =

من متشابه القرآن (١)

= الإسلام ويخفي الكفر، فإن أرادوا اشتراكهم في الحكم فهو كذلك، وإلا فأصلهم ما ذكرت. وقد قال النووي في لغات الروضة: الزنديق الذي لا ينتحل دينا. وقال محمد بن معن في التنقيب على المهذب: الزنادقة من الثنوية يقولون ببقاء الدهر وبالتناسخ.

قال: ومن الزنادقة الباطنية وهم قوم زعموا أن الله خلق شيئاً، ثم خلق منه شيئاً آخر، فدبر العالم بأسره، ويسمونها العقل والنفس، وتارة العقل الأول والعقل الثاني، وهو من قول الثنوية في النور والظلمة، إلا أنهم غيروا الاسمين. قال: ولهم مقالات سخيفة في النبوات وتحريف الآيات وفرائض العبادات.. الخ ما قال الحافظ رحمه الله. انظر: فتح الباري (١٢/ ٣٧٠-٣٧١).

وقال الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا محمد بن عبد الله أبو جعفر البغدادي قال: سمعت أبا زكريا يحيى بن يوسف الزمي قال: كنا عند عبد الله بن إدريس فجاءه رجل فقال: يا أبا محمد ما تقول في قوم يقولون: القرآن مخلوق؟ فقال: أمن اليهود؟ قال: لا. قال: فمن النصارى؟ قال: لا. قال: فمن المجوس؟ قال: لا. قال: فممن؟ قال: من أهل التوحيد؟ قال: نعم. قال: ليس هؤلاء من أهل التوحيد، هؤلاء زنادقة. من زعم أن القرآن مخلوق، فقد زعم أن الله مخلوق، يقول الله: بسم الله الرحمن الرحيم. فالله لا يكون مخلوقاً، والرحمن لا يكون مخلوقاً، والرحيم لا يكون مخلوقاً. وهذا أصل الزنادقة، من قال هذا فعليه لعنة الله لا تجالسوهم ولا تناكحوهم.

وقال وهب بن جرير: الجهمية الزنادقة إنما يريدون أنه ليس على العرش استوى. وحلف يزيد بن هارون بالله الذي لا إله إلا هو. من قال إن القرآن مخلوق فهو زنديق، ويستتاب فإن تاب إلا قتل.

وقيل لأبي بكر بن عياش: إن قوماً ببغداد يقولون: إنه مخلوق. فقال: ويلك من قال هذا؟! على من قال القرآن مخلوق لعنة الله، وهو كافر زنديق ولا تجالسوهم.

انظر: خلق أفعال العباد (ص٣٠)، وانظر أيضاً: الشريعة للآجري (١/ ٤٩٧-٥٠٠). ولمزيد بيان في معرفة معنى الزندقة، انظر: ضحى الإسلام لأحمد أمين (١/ ١٤٦).

(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ =

قال أحمد في قوله عز وجل: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦].

قالت الزنادقة: فما بال جلودهم التي عصت قد احترقت، وأبدلهم جلوداً غيرها؟

فلا نرى إلا أن الله يعذب جلوداً لم تذنب حين يقول: بدلناهم جلوداً غيرها(١).

فشكوا في القرآن، وزعموا أنه متناقض.

فقلت: إن قول الله تعالى: ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ ليس يعني جلوداً غير جلودهم، وإنما يعني ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾، تبديلها تجديدها، لأن جلودهم إذا نضجت، جددها الله، وذلك لأن القرآن فيه خاص وعام، ووجوه كثيرة وخواطر يعلمها العلماء(٢).

وأما قوله عز وجل: ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦].

= ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ٧] قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمّى الله، فاحذروهم**».

أخرجه البخاري (رقم ٤٥٤٧) ومسلم (رقم ٢٦٦٥).

(١) هذا من سوء ظنهم بالله وخبث طويتهم، فمن المعلوم ببداهة العقل والشرع أن الله لا يعذب جلوداً لم تذنب، ولكن الزنادقة تركوا المحكم واتبعوا المتشابه فوقعوا في الضلال البعيد عياذاً بالله من ذلك.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥/ ١٤٢) وابن كثير (١/ ٥٤٦) والسيوطي (٢/ ٥٦٨ـ ٥٦٩) والشوكاني (١/ ٤٧٩).

ثم قال في آية أخرى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝ ﴾ [الزمر: ٣١].

فقال: كيف يكون هذا من الكلام المحكم؟.. قال: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ۝ ﴾ ثم قال في موضع آخر: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝ ﴾.

فزعموا أن هذا الكلام ينقض بعضه بعضاً فشكوا في القرآن[١].

أما تفسير ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ۝ ﴾.

فهذا أول ما تبعث الخلائق على مقدار ستين سنة لا ينطقون،

---

(١) قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ۝ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝ ﴾ هذه الآية الكريمة تدل على أن أهل النار لا ينطقون ولا يعتذرون. وقد جاءت آيات تدل على أنهم ينطقون ويعتذرون، كقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۝ ﴾ [الأنعام: ٢٣]، وقوله: ﴿ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ﴾ [النحل: ٢٨] وقوله: ﴿ بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا ﴾ [غافر: ٧٤] وقوله: ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ۝ ﴾ [الشعراء: ٩٧ ـ ٩٩] وقوله: ﴿ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا ﴾ [الأعراف: ٣٨] إلى غير ذلك من الآيات.

والجواب عن هذا من أوجه:

الأول: أن القيامة مواطن، ففي بعضها ينطقون، وفي بعضها لا ينطقون.

الثاني: أنهم لا ينطقون بما لهم فيه فائدة. وما لا فائدة فيه كالعدم.

الثالث: أنهم بعد أن يقول الله لهم ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝ ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] ينقطع نطقهم، ولم يبقَ إلا الزفير والشهيق. قال تعالى: ﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ۝ ﴾ [النمل: ٨٥] وهذا الوجه الثالث راجع للوجه الأول.

انظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (١٠/ ٢٠٥) ملحق تفسير أضواء البيان.

ولا يؤذن لهم في الاعتذار فيعتذرون، ثم يؤذن لهم في كلام فيتكلمون، فذلك قوله: ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا﴾ [السجدة: ١٢] الآية.

فإذا أذن لهم في الكلام فتكلموا واختصموا، فذلك قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ٣١﴾ عند الحساب وإعطاء المظالم، ثم يقال لهم بعد ذلك.

﴿لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ﴾، أي عندي: ﴿وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ٢٨﴾ [ق: ٢٨]، فإن العذاب مع هذا القول كائن(١).

وأما قوله: ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗا﴾ [الإسراء: ٩٧].

وقال في آية أخرى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٥٠].

فقالوا: كيف يكون هذا من الكلام المحكم؟

﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗا﴾.

ثم يقول في موضع آخر: أنه ينادي بعضهم بعضاً؟ فشكوا في القرآن من أجل تلك(٢).

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٩/ ٢٤٣).

(٢) قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗا﴾ [الإسراء: ٩٧] الآية.
هذه الآية الكريمة يدل ظاهرها على أن الكفار يبعثون يوم القيامة عمياً وبكماً وصماً.
وقد جاءت آيات أخر تدل على خلاف ذلك، كقوله تعالى: ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا﴾ [مريم: ٣٨] وكقوله: ﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣] =

أما تفسير: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ ﴾ [الأعراف: ٤٤].

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾.

فإنهم أول ما يدخلون النار يكلم بعضهم بعضاً، وينادون: ﴿ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ۝٧٧ ﴾ [الزخرف: ٧٧].

ويقول: ﴿ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ ﴾ [إبراهيم: ٤٤]و﴿ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا ﴾ [المؤمنون: ١٠٦] فهم يتكلمون حتى قال لهم: ﴿ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝١٠٨ ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

فصاروا عمياً وبكماً وصماً، وينقطع الكلام ويبقى الزفير والشهيق.

= وكقوله: ﴿ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا ﴾ [السجدة: ١٢] الآية.

والجواب على هذا من أوجه:

الوجه الأول: هو ما استظهره أبو حيان من كون المراد مما ذكر حقيقته، ويكون ذلك في مبدأ الأمر، ثم يرد الله تعالى إليهم أبصارهم ونطقهم وسمعهم، فيرون النار ويسمعون زفيرها وينطقون بما حكى الله تعالى عنهم في غير موضع.

الوجه الثاني: أنهم لا يرون شيئاً يسرهم ولا يسمعون كذلك ولا ينطقون بحجة كما أنهم كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ولا يسمعونه، وأخرج ذلك ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس. وروي أيضاً عن الحسن كما ذكره الآلوسي في تفسيره، فنزل ما يقولونه ويسمعونه ويبصرونه منزلة العدم لعدم الانتفاع به، كما تقدم نظيره.

الوجه الثالث: أن الله إذا قال لهم: اخسئوا فيها ولا تكلمون. وقع بهم ذاك العمى والصم والبكم من شدة الكرب واليأس من الفرج. قال تعالى: ﴿ وَوَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ ۝٨٥ ﴾ [النمل: ٨٥] وعلى هذا القول تكون الأحوال الثلاثة مقدرة.

انظر: دفع إيهام الاضطراب (١٠/١٢٨).

فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة من قول الله[١].

وأما قوله: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

وقال في آية أخرى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٥٠﴾ [الصافات: ٥٠].

فقالوا: كيف يكون هذا من المحكم؟ فشكوا في القرآن من أجل ذلك[٢].

فأما قوله عز وجل: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ۝١٠١﴾.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٢٠١) وتفسير ابن كثير (٣/ ٧٠) وتفسير الشوكاني (٣/ ٢٦١).

(٢) قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ۝١٠١﴾ [المؤمنون: ١٠١] هذه الآية الكريمة تدل على أنهم لا أنساب بينهم يومئذ، وأنهم لايتساءلون يوم القيامة، وقد جاءت آيات أخر تدل على ثبوت الأنساب بينهم كقوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤﴾ [عبس: ٣٤] الآية، وآيات أخرى تدل على أنهم يتساءلون كقوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٢٧﴾ [الصافات: ٢٧].

والجواب عن الأول: أن المراد بنفي الأنساب انقطاع فوائدها وآثارها التي كانت مترتبة عليها في الدنيا من العواطف والنفع والصلات والتفاخر بالآباء، لا نفي حقيقتها.

والجواب عن الثاني من ثلاثة أوجه:

الأول: أن نفي السؤال بعد النفخة الأولى، وقبل الثانية وإثباته بعدهما معاً.

الثاني: أن نفي السؤال عند اشتغالهم بالصعق والمحاسبة والجواز على الصراط، وإثباته فيما عدا ذلك، وهو عن السدي من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

الثالث: أن السؤال المنفي سؤال خاص، وهو سؤال بعضهم العفو من بعض فيما بينهم من الحقوق لقنوطهم من الإعطاء، ولوكان المسؤول أباً أو ابناً أو أماً أو زوجة. ذكر هذه الأوجة الثلاثة أيضاً صاحب الإتقان. انظر: دفع إيهام الاضطراب (١٠/ ١٤٥-١٤٦).

فهذا عند النفخة الثانية، إذا قاموا من القبور، لا يتساءلون، ولا ينطقون في ذلك الموطن، فإذا حوسبوا، ودخلوا الجنة والنار، أقبل بعضهم على بعض يتساءلون، فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة(١).

وأما قوله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝٤٣﴾ [المدثر: ٤٢، ٤٣].

وقال في آية أخرى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾ [الماعون: ٤].

فقالوا: إن الله قد ذم قوماً كانوا يصلون فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾(٢).

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٤)، (٢٣/ ٥٨) وتفسير الشوكاني (٣/ ٤٩٩).

(٢) قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾ [الماعون: ٤] هذه الآية يتوهم منها الجاهل أن الله توعد المصلين بالويل، وقد جاء في آية أخرى أن عدم الصلاة من أسباب دخول سقر، وهي قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝٤٣﴾ [المدثر: ٤٢، ٤٣].

والجواب عن هذا في غاية الظهور، وهو أن التوعد بالويل منصب على قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝٦﴾ [الماعون: ٥، ٦] الآية، وهم المنافقون على التحقيق، وإنما ذكرنا هذا الجواب مع ضعف الإشكال وظهور الجواب عنه، لأن الزنادقة الذين لا يصلون يحتجون لترك الصلاة بهذه الآية.

وقد سمعنا من ثقات وغيرهم أن رجلاً قال لظالم تارك الصلاة: ما لك لا تصلي؟ فقال: لأن الله توعد على الصلاة بالويل في قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾ فقال له: اقرأ ما بعدها. فقال: لا حاجة لي فيما بعدها، فيها كفاية في التحذير من الصلاة، ومن هذا القبيل قال الشاعر:

دع المساجد للعباد تسكنها ... وسر إلى حانة الخمار يسقينا

=

وقد قال في قوم إنهم إنما دخلوا النار لأنهم لم يكونوا يصلون، فشكوا في القرآن من أجل ذلك، وزعموا أنه متناقض.

قال: وأما قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾ عنى بها المنافقين ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾، حتى يذهب الوقت.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ [الماعون: ٦] يقول إذا رأوهم صلوا، وإذا لم يروهم لم يصلوا.

وأما قوله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣﴾ [المدثر، ٤٢، ٤٣].

يعني الموحدين المؤمنين، فهذا ما شكت فيه الزنادقة(١).

وأما قوله عز وجل: ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [فاطر: ١١].

ثم قال: ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ۝١١﴾ [الصافات: ١١].

ثم قال: ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ [المؤمنون: ١٢].

ثم قال: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٦﴾ [الحجر: ٢٦].

ثم قال: ﴿مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤﴾ [الرحمن: ١٤].

= ما قال ربك: ويل للأولى سكروا وإنما قال: ويل للمصلينـــــا

فإذا كان الله تعالى توعد بالويل للمصلي الذي هو ساهٍ عن صلاته ويرائي فيها فكيف بالذي لا يصلي أصلاً، فالويل كل الويل له، وعليه لعائن الله إلى يوم القيامة ما لم يتب.

انظر: دفع إيهام الاضطراب (١٠/ ٢٣٣ـ ٢٣٤).

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٩/ ١٦٦) (٣٠/ ٣١١) وتفسير ابن كثير (٤/ ٥٨٨) وتفسير الشوكاني (٥/ ٥٠٠).

فشكوا في القرآن، وقالوا: هذا تلبيس ينقض بعضه بعضاً[(١)].

نقول: هذا بدء خلق آدم، خلقه الله أول بدء من تراب. ثم من طينة حمراء وسوداء وبيضاء، ومن طينة طيبة وسبخة، فكذلك ذريته طيب، وخبيث، أسود وأحمر وأبيض[(٢)]، ثم بلَّ ذلك التراب فصار طيناً، فذلك قوله «من طين» فلما لصق الطين بعضه ببعض، فصار طيناً لازباً، بمعنى لاصقاً، ثم قال: ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢﴾.

يقول: مثل الطين إذا عصر انسل من بين الأصابع، ثم نتن فصار حمأ مسنوناً، فخلق من الحمأ، فلما جف صار صلصالاً كالفخار، يقول، صار له صلصلة كصلصلة الفخار، له دوي كدوي الفخار.

---

(١) قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٦﴾ [الحجر: ٢٦] الآية.
ظاهر هذه الآية أن آدم خلق من صلصال: أي طين يابس.
وقد جاء في آيات أخر مايدل على خلاف ذلك كقوله تعالى: ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ۝١١﴾ [الصافات: ١١] وكقوله: ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩].
والجواب: أنه ذكر أطوار ذلك التراب، فذكر طوره الأول بقوله: «من تراب»، ثم بل فصار طيناً لازباً، ثم خمِّر فصار حمأ مسنوناً، ثم يبس فصار صلصالاً كالفخار.
هذا واضح، والعلم عند الله تعالى. انظر: دفع إيهام الاضطراب (١٠/ ١١٨).

(٢) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود، وبين ذلك، والسهل والحزْنُ، والخبيث والطيب، وبين ذلك**».
أخرجه أحمد (٤/ ٤٠٠، ٤٠٦) وعبد بن حميد (رقم ٥٤٩) وأبو داود (رقم ٤٦٩٣) والترمذي (رقم ٢٩٥٥) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٧٥٩) والسلسلة الصحيحة (رقم ١٦٣٠).

فهذا بيان خلق آدم، وأما قوله: ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨﴾ [السجدة: ٨].

فهذا بدء خلق ذريته، من سلالة يعني النطفة إذا انسلت من الرجل.

فذلك قوله: ﴿مِّن مَّآءٍ﴾، يعني النطفة ﴿مَّهِينٍ ۝٨﴾ يعني ضعيف. فهذا ما شكت فيه الزنادقة.

وأما قوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [الشعراء: ٢٨].

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ۝١٧﴾ [الرحمن: ١٧].

﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠].

فشكوا في القرآن، وقالوا: كيف يكون هذا من الكلام المحكم؟[1].

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله وهو يزيل هذه الشبهة: ومن هذا المعنى مجيء المشرق والمغرب في القرآن تارة مجموعين وتارة مثنيين وتارة مفردين، لاختصاص كل محل بما يقتضيه من ذلك، فالأول كقوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠] والثاني كقوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ۝١٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٨﴾ [الرحمن: ١٧، ١٨] والثالث كقوله: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ [المزمل: ٩] فتأمل هذه الحكمة البالغة في تغاير هذه الأوضاع في الإفراد والجمع والتثنية بحسب مواردها يطلعك على عظمة القرآن وجلالته وأنه تنزيل من حكيم حميد، فحيث جمعت كان المراد بها: مشارق الشمس ومغاربها في أيام السنة، وهي متعددة، وحيث أفردا كان المراد: أفقي المشرق والمغرب. وحيث ثنيا كان المراد: مشرقي صعودها وهبوطها ومغربيهما فإنها تبتدىء صاعدة حتى تنتهي إلى غاية أوجها وارتفاعها، فهذا مشرق صعودها وينشأ منه فصلا الخريف والشتاء، فجعل مشرق صعودها بجملته =

أما قوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ فهذا اليوم الذي يستوي فيه الليل والنهار، أقسم الله بمشرقه ومغربه، وأما قوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ۝١٧﴾ فهذا أطول يوم في السنة، وأقصر يوم في السنة، أقسم الله بمشرقهما ومغربهما، وأما قوله: «رب المشارق ورب المغارب» فهو مشارق السنة ومغاربها، فهذا ما شكت فيه الزنادقة[1].

أما قوله: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٤٧﴾ [الحج: ٤٧].

وقال في آية أخرى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ [السجدة: ٥].

وقال في آية أخرى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥﴾ [المعارج: ٤، ٥].

فقالوا: كيف يكون هذا من الكلام المحكم، وهو ينقض بعضه بعضاً؟[2].

= مشرقاً واحداً، ومشرق هبوطها بجملته مشرقاً واحداً، ويقابلها مغرباها، فهذا وجه اختلاف هذه في الإفراد والتثنية والجمع. وأما وجه اختصاص كل موضع بما وقع فيه فلم أر أحداً تعرض له ولا فتح بابه، وهو بحمد الله بيِّنٌ من السياق. انظر: بدائع الفوائد (١/ ١٢١).

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٧٠) (٢٧/ ١٢٧) (٢٩/ ٨٧) وتفسير ابن كثير (٤/ ٢٩٠)، وتفسير الشوكاني (٥/ ١٣٤).

(٢) قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٤٧﴾ [الحج: ٤٧].

هذه الآية الكريمة تدل على أن مقدار اليوم عند الله ألف سنة، وكذلك قوله تعالى: =

قال: أما قوله: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحج: ٤٧] فهذا من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض، كل يوم كألف سنة، وأما قوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥] وذلك أن جبرائيل كان ينزل على النبي ﷺ ويصعد إلى السماء في يوم كان مقداره ألف سنة، ذلك أنه من السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام، فهبوط خمسمائة، وصعود خمسمائة عام، فذلك ألف عام(١).

= ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ [السجدة: ٥].

وقد جاءت آية أخرى تدل على خلاف ذلك، هي قوله تعالى في سورة سأل سائل: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج: ٤] الآية.

اعلم أولاً أن أبا عبيدة روى عن إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن ابن أبي مليكة أنه حضر كلا من ابن عباس وسعيد بن المسيب سئل عن هذه الآيات فلم يدر ما يقول فيها، ويقول: لا أدري.

وللجمع بينهما وجهان:

الأول: هو ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس، من أن يوم الألف في سورة الحج هو أحد الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض.

ويوم الألف في سورة السجدة هو مقدار سير الأمر وعروجه إليه تعالى. ويوم الخمسين ألفاً هو يوم القيامة.

الوجه الثاني: أن المراد بجميعها يوم القيامة، وأن الاختلاف باعتبار حال المؤمن والكافر. ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ [المدثر: ٩-١٠] ذكر هذين الوجهين صاحب الإتقان، والعلم عند الله تعالى.

انظر: دفع إيهام الاضطراب (١٠/ ١٤٠-١٤١).

(١) قال السيوطي رحمه الله: وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله =

وأما قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ [المعارج: ٤] يقول: لو ولي حساب الخلائق غير الله، ما فرغ منه في يوم مقداره خمسون ألف سنة، ويفرغ الله منه مقدار نصف يوم من أيام الدنيا(١)، إذا أخذ في حساب الخلائق فذلك قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ۝٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧].

يعني سرعة الحساب(٢).

وأما قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝٢٢﴾ إلى قوله ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٢، ٢٣].

= عنهما في قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ قال: منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق سبع سموات ﴿مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ ويوم كان مقداره ألف سنة يعني بذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد، فذلك مقداره ألف سنة لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام.

انظر: الدر المنثور (٨/ ٢٧٩).

(١) قال الشوكاني رحمه الله: قال ابن إسحاق والكلبي ووهب بن منبه: أي عرج الملائكة إلى المكان الذي هو محلها في وقت كان مقداره على غيرهم لو صعد خمسين ألف سنة. وبه قال مجاهد. وقال عكرمة وروي عن مجاهد أن مدة عمر الدنيا هذا المقدار لا يدري أحد كم مضى ولا كم بقي، ولا يعلم ذلك إلا الله. وقال قتادة والكلبي ومحمد بن كعب: إن المراد يوم القيامة، يعني أن مقدار الأمر فيه لو تولاه غيره سبحانه خمسون ألف سنة، وهو سبحانه يفرغ منه في ساعة.

انظر: فتح القدير (٥/ ٤٠٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٨٣)، (٢١/ ٩١) (٢٩/ ٧٠) وتفسير ابن كثير (٣/ ٢٤٠، ٤٧٦) (٤/ ٤٤٤) وتفسير الشوكاني (٣/ ٤٦٠) (٤/ ٢٤٨، ٢٥١) (٥/ ٢٨٨، ٢٩١).

فأنكروا: أن كانوا مشركين.

وقال في آية أخرى: ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٤٢].

فشكوا في القرآن، وزعموا أنه متناقض(١).

أما قوله: ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٣] وذلك أن هؤلاء المشركين إذا رأوا ما يتجاوز الله عن أهل التوحيد يقول بعضهم لبعض: إذا سألنا نقول: لم نكن مشركين(٢)، فلما جمعهم الله، وجمع

---

(١) قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٤٢] هذه الآية تدل على أن الكفار لا يكتمون من خبرهم شيئا يوم القيامة، وقد جاءت آيات أخر تدل على خلاف ذلك كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٣] وقوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ﴾ [النحل: ٢٨] وقوله: ﴿ بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ﴾ [غافر: ٧٤].

ووجه الجمع في ذلك هو ما بيّنه ابن عباس رضي الله عنهما لما سئل عن قوله: ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ مع قوله: ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ وهو أن ألسنتهم تقول: والله ربنا ما كنا مشركين. فيختم الله على أفواههم وتشهد أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون.

فكتم الحق باعتبار اللسان، وعدمه باعتبار الأيدي والأرجل، وهذا الجمع يشير إليه قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [يس: ٦٥].

وأجاب بعض العلماء بتعدد الأماكن، فيكتمون في وقت ولا يكتمون في وقت آخر، والعلم عند الله تعالى.

انظر: دفع إيهام الاضطراب (١٠/ ٥٧-٥٨).

(٢) قال السيوطي رحمه الله: وأخرج عبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله: ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ قال: قول أهل الشرك حين رأوا الذنوب تغفر، ولا يغفر الله لمشرك: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ =

أصنامهم وقال: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢].

قال الله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: ٢٣].

فلما كتموا الشرك، ختم الله على أفواههم، وأنطق الجوارح، فنطقت بذلك، فذلك قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥]. فأخبر الله عز وجل عن الجوارح حين شهدت، فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة(١).

أما قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥].

وقال: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ [طه: ١٠٣].

وقال: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾ [طه: ١٠٤].

وقال: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ [الإسراء: ٥٢].

ومن أجل ذلك شكت الزنادقة(٢).

= أَنفُسِهِمْ﴾ قال: بتكذيب الله إياهم.
انظر: الدر المنثور (٣/ ٢٥٩).

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٩٣) (٧/ ١٦٥) وتفسير ابن كثير (١/ ٥٢٩) (٢/ ١٣٧) وتفسير الشوكاني (٢/ ١٥٥ـ١٥٦).

(٢) قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى: قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾ [المؤمنون: ١١٣].
هذه الآية الكريمة تدل على أن الكفار يزعمون يوم القيامة أنهم ما لبثوا إلا يوماً أو بعض يوم، وقد جاءت آيات آخر يفهم منها خلاف ذلك، كقوله تعالى: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ =

أما قوله: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۝١٠٣﴾ وذلك إذا خرجوا من قبورهم، فنظروا إلى ما كانوا يكذبون به من أمر البعث، قال بعضهم لبعض: إن لبثتم في القبور إلا عشر ليال، واستكثروا العشر، فقالوا: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ۝١٠٤﴾ في القبور، ثم استكثروا اليوم فقالوا: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۝٥٢﴾ ثم استكثروا القليل فقالوا: إن لبثتم إلا ساعة من نهار.

فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة[1].

وأما قوله: ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [المائدة: ١٠٩].

وقال في آية أخرى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود: ١٨].

فقالوا: وكيف يكون هذا فيقولون: لا علم لنا.

= إن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۝١٠٣﴾ [طه: ١٠٣] وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥].

والجواب عن هذا بما دل عليه القرآن، وذلك أن بعضهم يقول: لبثنا يوماً أو بعض يوم. وبعضهم يقول: لبثنا ساعة. وبعضهم يقول: لبثنا عشراً.

ووجه دلالة القرآن على هذا أنه بين أن أقواهم إدراكاً وأرجحهم عقلاً وأمثلهم طريقة، هو من يقول: إن مدة لبثهم يوماً، وذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ۝١٠٤﴾ [طه: ١٠٤] فدل ذلك على اختلاف أقوالهم في مدة لبثهم. والعلم عند الله تعالى.

انظر: دفع إيهام الاضطراب (١٠/ ١٤٦).

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١٠١، ١٠٦) (١٦/ ٢١٠) (٢١/ ٥٧) وتفسير ابن كثير (٣/ ٤٩، ١٧٤، ٤٥٨) وتفسير الشوكاني (٣/ ٥٥٢)، (٤/ ٣٣٠).

وأخبر عنهم أنهم يقولون: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم.

فزعموا أن القرآن ينقض بعضه بعضاً(١).

أما قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٩] فإنه يسألهم عند زفرة جهنم، فيقول: ماذا أجبتم في التوحيد؟ . . فتذهب عقولهم عند زفرة جهنم، فيقولون: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [المائدة: ١٠٩]، ثم ترجع لهم عقولهم من بعد، فيقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ

---

(١) قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة: ١٠٩].

هذه الآية يفهم منها أن الرسل لا يشهدون يوم القيامة على أممهم.

وقد جاء في آيات أخر ما يدل على أنهم يشهدون على أممهم كقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١] وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النحل: ٨٩].

والجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: وهو اختيار ابن جرير، وقال فيه ابن كثير، لا شك أنه حسن، أن المعنى لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا، فلا علم لنا بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شيء، فنحن وإن عرفنا من أجابنا فإنما نعرف الظواهر ولا علم لنا بالبواطن، وأنت المطلع على السرائر وما تخفي الضمائر فعلمنا بالنسبة إلى علمك كلا علم.

الثاني: وبه قال مجاهد والسدي والحسن البصري كما نقله عنهم ابن كثير وغيره أنهم قالوا: لا علم لنا، لما اعتراهم من شدة هول يوم القيامة، ثم زال ذلك عنهم فشهدوا على أممهم.

الثالث: وهو أضعفها، أن معنى قوله: ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ؟﴾ ماذا عملوا بعدكم؟ وما أحدثوا بعدكم؟ ﴿قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ ذكر ابن كثير وغيره هذا القول. ولا يخفى بعده عن ظاهر القرآن.

انظر: دفع إيهام الاضطراب (١٠/ ٧٩ـ ٨٠).

﴿ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود: ١٨]، فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة[١].

وأما قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

وقال في آية أخرى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

فقالوا: كيف يكون هذا؟ يخبر أنهم ينظرون إلى ربهم، وقال في آية أخرى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾.

فشكوا في القرآن، وزعموا أنه ينقض بعضه بعضاً[٢].

---

(١) قال الشوكاني رحمه الله: وقد أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله: ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ فيفزعون فيقولون: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ فترد إليهم أفئدتهم فيعلمون. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن السدي في الآية قال: ذلك أنهم نزلوا منزلاً ذهلت فيه العقول، فلما سئلوا قالوا: لا علم لنا. ثم نزلوا منزلاً آخر فشهدوا على قومهم.
وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس قال: قالوا: لا علم لنا. فرقاً يذهل عقولهم. ثم يرد الله إليهم عقولهم فيكونون هم الذين يسألون بقول الله: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأعراف: ٦].
انظر: فتح القدير (٢/ ١٣٣).
وانظر أيضاً: تفسير الطبري (٧/ ١٢٤) (١٢/ ٢٠) وتفسير ابن كثير (٢/ ١٢٣).

(٢) قال الشنقيطي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] الآية.
هذه الآية الكريمة توهم أن الله تعالى لا يرى بالأبصار. وقد جاءت آيات أخر تدل على أنه يرى بالأبصار، كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] وكقوله: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فالحسنى: الجنة والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم، وكذلك قوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ =

أما قوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ يعني الحسن والبياض ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا

= [ق: ٣٥] على أحد القولين، وكقوله تعالى في الكفار: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [المطففين: ١٥] يفهم من دليل خطابه أن المؤمنين ليسوا محجوبين عن ربهم.

والجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أن المعنى لا تدركه الأبصار أي في الدنيا، فلا ينافي الرؤية في الآخرة.

الثاني: أنه عام مخصوص برؤية المؤمنين له في الآخرة، وهذا قريب في المعنى من الأول.

الثالث: وهو الحق: أن المنفي في هذه الآية الإدراك المشعر بالإحاطة بالكنه. أما مطلق الرؤية فلا تدل الآية على نفيه، بل هو ثابت بهذه الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة واتفاق أهل السنة والجماعة على ذلك.

وحاصل هذا الجواب: أن الإدراك أخص من مطلق الرؤية، لأن الإدراك المراد به الإحاطة. والعرب تقول: رأيت الشيء وما أدركته، فمعنى: لا تدركه الأبصار: لا تحيط به، كما أنه تعالى يعلمه الخلق، ولا يحيطون به علماً.

وقد اتفق العقلاء على أن نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم، فانتفاء الإدراك لا يلزم منه انتفاء مطلق الرؤية، مع أن الله تعالى لا يدرك كنهه على الحقيقة أحد من الخلق.

والدليل على صحة هذا الوجه ما أخرجه الشيخان من حديث أبي موسى مرفوعاً: **«حجابه النور أو النار، لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»** فالحديث صريح في عدم الرؤية في الدنيا، ويفهم منه عدم إمكان الإحاطة مطلقاً.

والحاصل: أن رؤيته تعالى بالأبصار جائزة عقلاً في الدنيا والآخرة، لأن كل موجود يجوز أن يرى عقلاً، ويدل لجوازها عقلاً قول موسى: ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] لأنه لا يجهل الجائز في حق الله تعالى عقلاً.

وأما في الشرع فهي جائزة وواقعة في الآخرة ممتنعة في الدنيا، ومن أصرح الأدلة في ذلك ما رواه مسلم وابن خزيمة مرفوعاً: «**إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**» والأحاديث برؤية المؤمنين له يوم القيامة متواترة، والعلم عند الله تعالى.

انظر: دفع إيهام الاضطراب (١٠/ ٨٤ـ ٨٥).

نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ يعني تعاين ربها في الجنة.

وأما قوله: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ يعني في الدنيا دون الآخرة، وذلك أن اليهود قالوا لموسى: ﴿ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ ﴾ [النساء: ١٥٣].

فماتوا وعوقبوا لقولهم: ﴿ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ وقد سألت مشركو قريش النبي ﷺ فقالوا: ﴿ أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٣].

فلما سألوا النبي ﷺ هذا المسألة قال الله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ﴾ [البقرة: ١٠٨].

حين قالوا: ﴿ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ ﴾ الآية.

فأنزل الله سبحانه يخبر أنه ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾، أي أنه لا يراه أحد في الدنيا دون الآخرة.

فقال: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ يعني في الدنيا، أما في الآخرة فإنهم يرونه. فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة[1].

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله: الدليل السادس قوله عز وجل: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] والاستدلال بهذا أعجب، فإنه من أدلة النفاة.
وقد قرر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه، وقال لي: أنا ألتزم أنه لا يحتج مبطل باية أو حديث صحيح على باطله، إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله، فمنها هذه الاية، وهي على جواز الرؤية، أدل منها على امتناعها، فإن الله سبحانه إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال ولا يمدح به.
وإنما يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم إذا تضمن أمراً وجودياً كتمدحه، بنفي السِّنة والنوم المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب =

وأماقول موسى: ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقال السحرة: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الشعراء: ٥١].

وقال النبي ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

قالوا: كيف قال موسى: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

= والإعياء المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال الصمدية وغناه، ونفي الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته، ولِمَ لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمراً ثبوتياً، فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه، فلو كان المراد بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أنه لا يرى بحال، ولم يكن في ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدوم له في ذلك، فإن العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الأبصار، والرب جل جلاله يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض، فإذا المعنى: أنه يُرى ولا يدرك ولا يحاط به، كما كان المعنى في قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ [يونس: ٦١] أنه يعلم كل شيء وفي قوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق: ٣٨] أنه كامل القدرة، وفي قوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩] أنه كامل العدل، وفي قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أنه كامل القيومية.
انظر: حادي الأرواح (ص٢٠٧ـ٢٠٨).
وانظر أيضاً: تفسير الطبري (٧/ ٢٩٩) (١٤/ ١٩١) وتفسير ابن كثير (٢/ ١٧٤) (٤/ ٤٧٧).

وقد كان قبله إبراهيم ويعقوب وإسحاق، فكيف جاز لموسى أن يقول: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٤٣﴾ وقالت السحرة: ﴿أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٥١﴾، وكيف جاز للنبي أن يقول: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾، وقد كان قبله مسلمون كثير، مثل عيسى ومن تبعه؟ فشكوا في القرآن وقالوا: إنه متناقض(١).

---

(١) قال السيوطي رحمه الله: وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ قال: من سؤالي إياك الرؤية ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٤٣﴾ قال: أول قومي إيماناً.
وأخرج عبد بن حميد وأبو الشيخ عن أبي العالية في قوله: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٤٣﴾ قال: قد كان إذن قبله مؤمنون، ولكن يقول: أنا أول من آمن بأنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة.
انظر: الدر المنثور (٣/ ٥٤٧).
وقال الشوكاني رحمه الله: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٤٣﴾ بل قبل قومي الموجودين في هذا العصر المعترفين بعظمتك وجلالك.
انظر: فتح القدير (٢/ ٣٥٥).
وقال السيوطي رحمه الله: وأخرج عبد الرزاق ابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله: ﴿ونسكي﴾ قال ضحيتي. وفي قوله: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ قال: من هذه الأمة.
انظر: الدر المنثور (٣/ ٤١٠) وفتح القدير (٢/ ٢٧١).
وقال السيوطي رحمه الله: وأخرج ابن جرير عن ابن زيد في قوله: ﴿لَا ضَيْرَ﴾ قال: يقولون: لا يضرنا الذي تقول، وإن صنعت بنا وصلبتنا ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝٥٠﴾ يقول: إنا إلى ربنا راجعون، وهو مجازينا بصبرنا على عقوبتك إيانا وثباتنا على توحيده والبراءة من الكفر به، وفي قوله: ﴿أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٥١﴾ قال: كانوا كذلك يومئذ أول من آمن بآياته حين رآها.
انظر: الدر المنثور (٦/ ٢٩٣).
وقال الشوكاني رحمه الله: وفي قوله: ﴿أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٥١﴾ قالوا: كانوا كذلك =

أما قول موسى: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٤٣﴾ فإنه حين قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ولا يراني أحد في الدنيا، إلا مات.

﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٤٣﴾ [الأعراف: ١٤٣].

يعني أول المصدقين، أنه لا يراك أحد في الدنيا إلا مات.

وأما قول السحرة: ﴿أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٥١﴾ يعني أول المصدقين بموسى من أهل مصر من القبط.

وأما قول النبي ﷺ ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ١٦٣﴾ يعني من أهل مكة. فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة[1].

وأما قوله: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ٤٦﴾ [غافر: ٤٦].

وقال في آية أخرى: ﴿فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ١١٥﴾ [المائدة: ١١٥].

وقال في آية أخرى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

= يومئذ أول من آمن بآياته حين رأوها.
انظر: فتح القدير (٤/ ١٤٤).

(١) انظر: تفسير الطبري (٨/ ١١٢) (٩/ ٥٥) (١٩/ ٧٤) وتفسير ابن كثير (٢/ ٢١٤، ٢٦٣) (٣/ ٣٥٠).

فشكوا في القرآن وقالوا: إنه ينقض بعضه بعضاً[١].

أما قوله: ﴿ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾.

يعني عذاب ذلك النار الذي هم فيه.

وأما قوله: ﴿ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾.

وذلك أن الله مسخهم خنازير. فعذبهم بالمسخ ما لم يعذب من سواهم من الناس، وأما قوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾،

---

(١) قال الشنقيطي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المائدة: ١١٥].
هذه الآية الكريمة تدل على أن أشد الناس عذاباً يوم القيامة من كفر من أصحاب المائدة.
وقد جاء في بعض الآيات ما يوهم خلاف ذلك كقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [النساء: ١٤٥] وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر: ٤٦].
والجواب: أن آية: ﴿ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ ﴾ وآية: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ لا منافاة بينهما، لأن كلا من آل فرعون والمنافقين في أسفل دركات النار في أشد العذاب، وليس في الآيتين ما يدل على أن بعضهم أشد عذاباً من الآخر.
وأما قوله: ﴿ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ ﴾ الآية، فيجاب عنه من وجهين:
الأول: وهو ما قاله ابن كثير: إن المراد بالعالمين عالمو زمانهم، وعليه فلا إشكال، ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [البقرة: ٤٧] كما تقدم.
الثاني: ما قاله البعض: من أن المراد به العذاب الدنيوي، الذي هو مسخهم خنازير، ولكن يدل لأنه عذاب الآخرة ما رواه ابن جرير عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال: أشد الناس عذاباً يوم القيامة ثلاثة: المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون.
انظر: دفع إيهام الاضطراب (١٠/ ٨٠).

لأن جهنم لها سبعة أبواب: جهنم، ولظى والحطمة، وسقر، والسعير، والجحيم، والهاوية، وهم في أسفل درك فيها[١][٢].

وأما قول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية: ٦].

ثم قال: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ [الدخان: ٤٣، ٤٤].

فقد أخبر أن لهم طعاماً فشكوا في القرآن وزعموا أنه متناقض[٣].

---

(١) قال السيوطي رحمه الله: وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ قال: جهنم والسعير ولظى والحطمة وسقر والجحيم والهاوية، وهي أسفلها.
وقال أيضاً: وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج رضي الله عنه في قوله: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ قال: أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية. والجحيم فيها أبو جهل.
وقال أيضاً: وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الأعمش رضي الله عنه قال: أسماء أبواب جهنم: الحطمة والهاوية ولظى وسقر والجحيم والسعير وجهنم، والنار هي جماع.
انظر: الدر المنثور (٥/ ٨٠-٨٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٣٣٨) (٧/ ١٣٦) (٢٤/ ٧١) وتفسير ابن كثير (١/ ٦٠٧) (٢/ ١٢٩) (٤/ ٨٧).

(٣) قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الحاقة: ٣٦] ظاهر هذا الحصر أنه لا طعام لأهل النار إلا الغسلين، وهو ما يسيل من صديد أهل النار على أصح التفسيرات، كأنه فعلين من الغسل، لأن الصديد كأنه غسالة قروح أهل النار. أعاذنا الله والمسلمين منها.
وقد جاءت آية أخرى تدل على حصر طعامهم في غير الغسلين، وهي قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾﴾ [الغاشية: ٦] وهو الشبرق اليابس على أصح التفسيرات، ويدل لهذا قول أبي ذؤيب:

رعى الشبرق الريان حتى إذا ذوى ... وصار ضريعاً بان عنه النحائص

=

أما قوله: ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝ ﴾ يقول ليس لهم طعام في ذلك الباب إلا من ضريع، ويأكلون الزقوم في غير ذلك الباب، فذلك قوله: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۝ ﴾، فهذا ما شكت فيه الزنادقة(١).

وأما قوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ۝ ﴾ [محمد: ١١].

وقال في آية أخرى: ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ﴾ [الأنعام: ٦٢].

فقالوا: كيف يكون هذا من الكلام المحكم؟.. يخبر أنه مولى من آمن، ثم قال: ﴿ وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ۝ ﴾ [محمد: ١١] فشكوا في القرآن(٢).

= وللعلماء عن هذا أجوبة كثيرة، أحسنها عندي اثنان منها، ولذلك

الأول: أن العذاب ألوان، والمعذبون طبقات، فمنهم من لا طعام له إلا من غسلين ومنهم من لا طعام له إلا من ضريع، ومنهم من لا طعام له إلا الزقوم، ويدل لهذا قوله تعالى ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ۝ ﴾ [الحجر: ٤٤].

الثاني: أن المعنى في جميع الآيات أنهم لا طعام لهم أصلاً، لأن الضريع لا يصدق عليه اسم الطعام، ولا تأكله البهائم فأحرى الآدميون.

وكذلك الغسلين ليس من الطعام، فمن طعامه الضريع لا طعام له، ومن طعامه الغسلين كذلك. ومنه قولهم: فلان لا ظل له إلا الشمس. ولا دابة له إلا دابة ثوبه. يعنون العمل. ومرادهم: لا ظل له أصلاً، ولا دابة له أصلاً. وعليه فلا إشكال. والعلم عند الله تعالى.

انظر: دفع إيهام الاضطراب (١٠/ ٢٠١).

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٥/ ١٣٠) (٣٠/ ١٦١) وتفسير ابن كثير (٤/ ١١).

(٢) قال الشنقيطي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ﴾ [الأنعام: ٦٢] =

أما قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يقول: ناصر الذين آمنوا، وأن الكافرين لا ناصر لهم.

وأما قوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢] لأن في الدنيا أرباب باطل. فهذا ما شكت فيه الزنادقة[(١)].

وأما قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة: ٤٢].

وقال في آية آخرى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥].

فقالوا: كيف يكون هذا من الكلام المحكم؟[(٢)]

أما قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ يعني العادلون

= هذه الآية الكريمة تدل على أن الله مولى الكافرين، ونظيرها قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [يونس: ٣٠].

وقد جاء في آية أخرى ما يدل على خلاف ذلك، وهي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد: ١١].

والجواب عن هذا: أن معنى كونه مولى الكافرين أنه مالكهم المتصرف فيهم بما شاء، ومعنى كونه مولى المؤمنين دون الكافرين أي ولاية المحبة والتوفيق والنصر، والعلم عند الله تعالى.

انظر: دفع إيهام الاضطراب (١٠/ ٨٢).

(١) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٢١٨) (٢٦/ ٤٧) وتفسير ابن كثير (٢/ ١٤٩) (٤/ ١٨٨).

(٢) قال الشنقيطي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الجن: ١٥]. لا يعارض قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة: ٤٢] لأن القاسط هو الجائر، والمقسط هو العادل، فهما ضدان.

انظر: دفع إيهام الاضطراب (١٠/ ٢٠٣).

بالله، الذين يجعلون لله عدلاً من خليقته فيعبدونه مع الله.

وأما قوله: ﴿ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩] يقول: اعدلوا فيما بينكم وبين الناس، إن الله يحب الذين يعدلون.

وقال في آية أخرى: ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل: ٦٠] يعني يشركون، فهذا ما شكت فيه الزنادقة(١).

وأما قوله: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال في آية أخرى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ ﴾ [الأنفال: ٧٢].

وكأن هذا عند من لا يعرف معناه ينقض بعضه بعضاً(٢).

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٩/ ١١٣) وتفسير ابن كثير (٢/ ٦٤) (٤/ ٤٥٧).

(٢) قال الشنقيطي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ ﴾ [الأنفال: ٧٢].

هذه الآية الكريمة تدل على أن من لم يهاجر لا ولاية بينه وبين المؤمنين حتى يهاجر، وقد جاءت آية أخرى يفهم منها خلاف ذلك، وهي قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ ﴾ [التوبة: ٧١] فإنها تدل على ثبوت الولاية بين المؤمنين وظاهرها العموم.

والجواب من وجهين:

الأول: أن الولاية المنفية في قوله: ﴿ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ [الأنفال: ٧٢] هي ولاية الميراث، أي مالكم شيء من ميراثهم حتى يهاجروا، لأن المهاجرين والأنصار كانوا يتوارثون بالمؤاخاة التي جعلها النبي ﷺ بينهم، فمن مات من المهاجرين ورثه أخوه الأنصاري دون أخيه المؤمن، الذي لم يهاجر، حتى نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ [الأحزاب: ٦] الآية.

وهذا مروي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة، كما نقله عنهم أبو حيان وابن جرير. =

أما قوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ يعني من الميراث، وذلك أن الله عز وجل حكم على المؤمنين لما هاجروا إلى المدينة أن لا يتوارثوا إلا بالهجرة، فإن مات رجل بمكة له ولي مهاجر مع النبي ﷺ كان لا يرثه المهاجر، فذلك قوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ من الميراث ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ فلما كثر المهاجرون رد الله ذلك الميراث على الأولياء هاجروا أو لم يهاجروا، وذلك قوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ [الأحزاب: ٦].

وأما قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ يعني في الدين، والمؤمن يتولى المؤمن في دينه.

= والولاية في قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ ولاية النصر والمؤازرة والتعاون والتعاضد، لأن المسلمين كالبنيان يشد بعضه بعضاً، كالجسد الواحد إذا أصيب منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

وهذه الولاية لم تقصد بالنفي في قوله: ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ بدليل تصريحه تعالى بذلك في قوله بعده يليه: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢] الآية. فأثبت ولاية النصر بينهم بعد قوله: ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ يدل على أن الولاية المنفية غير ولاية النصر، فظهر أن الولاية المنفية غير المثبتة، فارتفع الإشكال.

الثاني: هو ما اقتصر عليه ابن كثير مستدلا عليه بحديث أخرجه الإمام أحمد ومسلم أن معنى قوله: ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ يعني: لا نصيب لكم في المغانم ولا في خمسها إلا فيما حضرتم فيه القتال، وعليه فلا إشكال في الآية ولا مانع من تناول الآية للجميع، فيكون المراد بها نفي الميراث بينهم، ونفي القسم لهم في الغنائم والخمس. والعلم عند الله تعالى.

انظر: دفع إيهام الاضطراب (١٠/ ٩٩ ـ ١٠٠).

فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة(١).

وأما قوله لإبليس: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

وقال موسى حين قتل النفس: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [القصص: ١٥].

فشكوا في القرآن، وزعموا أنه متناقض(٢).

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٥١) وتفسير ابن كثير (٢/ ٣٥٢).

(٢) قال الشنقيطي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ [النحل: ١٠٠] هذه الآية الكريمة فيها التصريح بأن الشيطان له سلطان على أوليائه ونظيرها الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝٤٢﴾ [الحجر: ٤٢].

وقد جاء في بعض الآيات ما يدل على نفي سلطانه عليهم، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢٠ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [سبأ: ٢٠، ٢١] الآية.

وقوله تعالى حاكيا عنه مقررا له: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [إبراهيم: ٢٢] الآية.

والجواب: هو أن السلطان الذي أثبته له عليهم غير السلطان الذي نفاه، وذلك من وجهين:

الأول: أن السلطان المثبت له هو سلطان إضلاله لهم بتزيينه، والسلطان المنفي هو سلطان الحجة، فلم يكن لإبليس عليهم حجة يتسلط بها، غير أنه دعاهم فأجابوه، بلا حجة ولا برهان، وإطلاق السلطان على البرهان كثير في القرآن.

الثاني: أن الله لم يقل له عليهم سلطانا ابتداء ألبتة. ولكنهم هم الذين سلطوه على أنفسهم بطاعته ودخولهم في حزبه، فلم يتسلط عليهم بقوة، لأن الله يقول: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ۝٧٦﴾ [النساء: ٧٦] وإنما تسلط عليهم بإرادتهم واختيارهم، ذكر هذا الجواب بوجهيه العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى.

انظر: دفع إيهام الاضطراب (١٠/ ١٢٠-١٢١).

وانظر أيضاً: عدة الصابرين لابن القيم (ص٢١-٢٢).

أما قوله: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾ يقول: عبادي الذين استخلصهم الله لدينه ليس لإبليس عليهم سلطان: أن يضلهم في دينهم أو في عبادة ربهم، ولكنه يصيب منهم من قبل الذنوب، فأما في الشرك فلا يقدر إبليس أن يضلهم عن دينهم، لأن الله سبحانه استخلصهم لدينه. وأما قول موسى: ﴿ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ﴾ يعني من تزيين الشيطان، كما زين ليوسف ولآدم وحواء، وهم عباد الرحمن المخلصون.

فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة[(١)].

وأما قول الله للكفار: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ﴾ [الجاثية: ٣٤].

وقال في آية أخرى: ﴿ فِى كِتَـٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾ [طه: ٥٢].

فشكوا في القرآن[(٢)].

أما قوله: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ﴾ يقول: نترككم في النار ﴿ كَمَا نَسِيتُمْ ﴾ كما تركتم العمل للقاء يومكم هذا.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٣٤)، (٢٠/ ٤٦) وتفسير ابن كثير (٢/ ٥٩٦) (٣/ ٣٩٩).

(٢) قال الشنقيطي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ ﴾ [الأعراف: ٥١] الآية.
وأمثالها من الآيات كقوله: ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة: ٦٧] وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٦] وقوله: ﴿ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ ﴾ [الجاثية: ٣٤] الآية.
لا يعارض قوله تعالى: ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ [طه: ٥٢] وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ [مريم: ٦٤]، لأن معنى ﴿ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ ﴾ ونحوه، أي نتركهم في العذاب محرومين من كل خير، والله تعالى أعلم.
انظر: دفع إيهام الاضطراب (١٠/ ٩٤).

وأما قوله: ﴿فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ يقول: لا يذهب من حفظه ولا ينساه(١).

وأما قوله: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥﴾ [طه: ١٢٤، ١٢٥].

وقال في الآية الأخرى: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝٢٢﴾ [ق: ٢٢].

فقالوا: كيف يكون هذا من الكلام المحكم؟ فيقول: إنه أعمى ويقول: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝٢٢﴾ فشكوا في القرآن(٢).

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١٧٣) (٢٥/ ١٥٨) وتفسير ابن كثير (٣/ ١٦٥) (٤/ ١٦٤).

(٢) قال الشنقيطي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥] الآية.
هذه الآية الكريمة تدل على أن الكفار يوم القيامة ينظرون بعيون خفية ضعيفة النظر، وقد جاءت آية أخرى يتوهم منها خلاف ذلك، وهي قوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝٢٢﴾ [ق: ٢٢].
والجواب: هو ما ذكره صاحب الإتقان، من أن المراد بحدة البصر: العلم وقوة المعرفة. قال قطرب: فبصرك أي علمك ومعرفتك بها قوية من قولهم: بصر بكذا أي علم، وليس المراد رؤية العين. قال الفارسي: ويدل على ذلك قوله: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾.
وقال بعض العلماء: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝٢٢﴾ أي تدرك به ما عميت عنه في دار الدنيا، ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا﴾ [السجدة: ١٢] الآية. وقوله: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣] الآية، وقوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٣٨﴾ [مريم: ٣٨]. ودلالة القرآن على هذا الوجه الأخير ظاهرة، فلعله هو الأرجح، وإن اقتصر صاحب الإتقان على الأول.
انظر: دفع إيهام الاضطراب (١٠/ ١٧٦).

=

أما قوله: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤] عن حجته، وقال ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ﴾ عن حجتي، ﴿وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ بها مخاصماً بها، فذلك قوله: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ﴾ [القصص: ٦٦].

يقول: الحجج ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ۝٦٦﴾ [القصص: ٦٦]، وأما قوله: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝٢٢﴾.

وذلك أن الكافر إذا خرج من قبره، شخص بصره، ولا يطرف بصره حتى يعاين جميع ما كان يكذب به من أمر البعث، فذلك قوله: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

يقول: غطاء الآخرة. فبصرك يحد النظر، لا يطرف حتى يعاين جميع ما كان يكذب به من أمر البعث، فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة[1].

وأما قوله لموسى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه: ٤٦].

وقوله في موضع آخر: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ۝١٥﴾ [الشعراء: ١٥].

= وقال أيضاً رحمه الله: قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤﴾ [طه: ١٢٤].
ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن من أعرض عن ذكره يحشره يوم القيامة في حال كونه أعمى... وأن المراد بقوله: أعمى أي أعمى البصر لا يرى شيئاً. والقرينة المذكورة هي قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥﴾ [طه: ١٢٥] فصرّح بأن عماه هو العمى المقابل للبصر، وهو بصر العين، لأن الكافر كان في الدنيا أعمى القلب، كما دلت على ذلك آيات كثيرة من كتاب الله.
انظر: أضواء البيان (٤/ ٤١٣ـ٤١٤) (٦/ ٢٧٦ـ٢٧٧).

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٢٢٨) (٢٦/ ١٦٣) وتفسير ابن كثير (٣/ ١٧٩) (٤/ ٢٤١).

وقالوا: كيف قال: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾.

وقال في آية أخرى: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ١٥﴾.

فشكوا في القرآن من أجل ذلك(١).

أما قوله: ﴿إِنَّا مَعَكُم﴾ فهذا في مجاز اللغة(٢)، يقول الرجل للرجل: إنا سنجري عليك رزقاً، إنا سنفعل بك كذا.

وأما قوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾ فهو جائز في اللغة، يقول الرجل الواحد للرجل: سأجري عليك رزقاً، أو سأفعل بك خيراً(٣).

قال الإمام أحمد رحمه الله: وكذلك الجهم(٤) وشيعته، دعوا الناس إلى المتشابه(٥) من القرآن والحديث، فضلوا وأضلوا بكلامهم

---

(١) قال الشنقيطي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ١٥﴾ [الشعراء: ١٥].
صيغة الجمع في قوله: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ١٥﴾ للتعظيم.

(٢) انظر: منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز للشيخ الشنقيطي رحمه الله (١٠/ ٢٣٧ ـ ٢٦٥) ملحق أضواء البيان.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١٧٠) (١٩/ ٦٥) وتفسير ابن كثير (٣/ ١٦٤، ٣٤٧).

(٤) الجهم: هو ابن صفوان الراسبي أبو محرز. قال الذهبي: أبو محرز السمرقندي الضال المبتدع، رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين، وما علمته روى شيئاً، لكنه زرع شرًّا عظيماً. «ميزان الاعتدال» (١/ ٤٢٦ رقم ١٥٨٤).

(٥) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إنه سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن، فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله.
أخرجه الدارمي (رقم ١٢١) وابن بطة في الإبانة الكبرى (رقم ٦٢، ٦٣) واللالكائي (رقم ٢٠٣). وشبهات القرآن أي المتشابه وترك المحكم. وقد تقدم حديث عائشة: =

بشراً كثيراً. فكان مما بلغنا من أمر الجهم عدو الله، أنه كان من أهل خرسان. من أهل ترمذ، وكان صاحب خصومات وكلام[(١)]، وكان أكثر كلامه في الله تعالى، فلقي أناساً من المشركين يقال لهم السمنية[(٢)] فعرفوا الجهم فقالوا له: نكلمك، فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا، وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك[(٣)]، فكان مما كلموا به الجهم أن قالوا له:

«ألست تزعم أن لك إلهاً؟

= «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمّى الله فاحذروهم**». وهو عند مسلم (رقم ٢٦٦٥).

(١) عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال: من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل.
أخرجه الدارمي (رقم ٣١٠) واللالكائي (رقم ٢١٦) وابن بطة (رقم ٥٤٤ـ٥٤٨).
وعن معاوية بن قرة قال: الخصومات في الدين تحبط الأعمال.
أخرجه اللالكائي (رقم ٢٢١) وابن بطة (رقم ٥٤١).

(٢) السمنية: قال ابن تيمية: هم الذين يحكي أهل المقالات عنهم أنهم أنكروا من العلم ما سوى الحسيات، ولهذا سألوا جهماً: هل عرفه بشيء من الحواس الخمس؟ فقال: لا. قالوا: فما يدريك أنه إلـه؟ فإنهم لا يعرفون إلا المحسوس، وليس مرادهم أن الرجل لا يعلم إلا ما أحسه، بل لا يثبتون إلا ما هو محسوس للناس في الدنيا.
انظر: تعارض العقل والنقل (٢/ ٤١٠ـ٤١١).

(٣) عن معن بن عيسى قال: انصرف مالك بن أنس يوماً من المسجد، وهو متكىء على يدي، فلحقه رجل يقال له أبو الجيرية كان يتهم بالإرجاء، فقال: يا أبا عبد الله اسمع مني شيئاً أكلمك به، وأحاجك وأخبرك برأيي. قال: فإن غلبتني؟ قال: إن غلبتك اتبعتني. قال: فإن جاء رجل آخر فكلمنا فغلبنا؟ قال: نتبعه. قال مالك رحمه الله: يا عبد الله بعث الله محمداً ﷺ بدين واحد، وأراك تنتقل من دين إلى دين. قال عمر بن عبد العزيز: من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل.
أخرجه ابن بطة (رقم ٥٦٢).

قال الجهم: نعم.

فقالوا له: فهل رأيت إلهك!

قال: لا.

قالوا: فهل سمعت كلامه؟

قال: لا.

قالوا: فشممت له رائحة؟

قال: لا.

قالوا: فوجدت له حسًّا؟

قال: لا.

قالوا: فوجدت له مجسًّا؟

قال: لا.

قالوا: فما يدريك أنه إله؟[١].

قال: فتحير الجهم فلم يدر من يعبد أربعين يوماً[٢]. ثم إنه

---

(١) ذكر هذه المناظرة ابن تيمية رحمه الله في بيان تلبيس الجهمية (١/٣١٨ـ ٣١٩) (٢/٥٣ـ ٥٤) (٢/ ٣٥٠ـ ٣٥١) وفي درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٤١٠) وأخرجها بسنده ابن بطة في الإبانة عن مقاتل بن سليمان (٢/ ٨٦ـ ٨٩ رقم ٣١٧) واللالكائي عن خلف بن سليمان البلخي (٣/ ٣٨٠ رقم ٦٣٤، ٦٣٥). وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٢٠٦ـ ٢٠٧).

(٢) قال البخاري رحمه الله: وقال ضمرة عن ابن شوذب: ترك الجهم الصلاة أربعين يوماً على وجه الشك، فخاصمه بعض السمنية، فشك، فأقام أربعين يوماً لا يصلي. قال =

استدرك حجة مثل حجة زنادقة النصارى، وذلك أن زنادقة النصارى يزعمون أن الروح الذي في عيسى هو روح الله من ذات الله، فإذا أراد أن يحدث أمراً دخل في بعض خلقه فتكلم على لسان خلقه، فيأمر بما يشاء وينهى عما يشاء، وهو روح غائبة عن الأبصار.

فاستدرك الجهم حجة مثل هذه الحجة، فقال للسمني:

ألست تزعم أن فيك روحاً؟

قال: نعم.

فقال: هل رأيت روحك؟

قال: لا.

قال: فسمعت كلامه؟

قال: لا.

قال: فوجدت له حساً؟

قال: لا.

قال: فكذلك الله لا يرى له وجه، ولا يسمع له صوت، ولا يشم له رائحة، وهو غائب عن الأبصار، ولا يكون في مكان دون مكان.

ووجد ثلاث آيات من المتشابه:

قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

= ضمرة: وقد رآه ابن شوذب.

انظر: خلق أفعال العباد للبخاري (ص٣١).

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ٣].

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [الأنعام: ١٠٣][1].

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله: فقوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ يدل على غاية عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية. ثم قال:
قال ابن عباس: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ لا تحيط به الأبصار. قال قتادة: هو أعظم من أن تدركه الأبصار، وقال عطية: ينظرون إلى الله، ولا تحيط أبصارهم به من عظمته، وبصره يحيط بهم، فذلك قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ فالمؤمنون يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم عياناً، ولا تدركه أبصارهم بمعنى: أنها لا تحيط به، إذ كان غير جائز أن يوصف الله عز وجل بأن شيئاً يحيط به وهو بكل شيء محيط، وهكذا يسمع كلام من يشاء من خلقه ولا يحيطون بكلامه، وهكذا يعلم الخلق ما علمهم ولا يحيطون بعلمه.
ونظير هذا استدلالهم على نفي الصفات بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ وهذا من أعظم الأدلة على كثرة صفات كماله ونعوت جلاله، وأنها لكثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مثل فيها، وإلا فلو أريد بها نفي الصفات لكان العدم المحض أولى بهذا المدح منه.
مع أن جميع العقلاء إنما يفهمون من قول القائل: فلان لامثيل له، وليس له نظير ولا شبيه ولا مثل إنه قد تميز عن الناس بأوصاف ونعوت لا يشاركونه فيها وكلما كثرت أوصافه ونعوته فاق أمثاله وبعد عن مشابهة أضرابه. فقوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ من أدل شيء على كثرة نعوته وصفاته، وقوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ من أدل شيء على أنه يرى ولا يدرك. وقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الحديد: ٤] من أدل شيء على مباينة الرب لخلقه، فإنه لم يخلقهم في ذاته، بل خلقهم خارجاً عن ذاته، ثم بان عنهم باستوائه على عرشه وهو يعلم ما هم عليه، فيراهم وينفذهم بصره، ويحيط بهم علماً وقدرة وإرادة وسمعاً وبصراً، فهذا معنى كونه سبحانه معهم أينما كانوا. وتأمل حسن هذه =

فبنى أصل كلامه على هذه الآيات[١]، وتأول القرآن على غير تأويله، وكذب بأحاديث رسول الله ﷺ، وزعم أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه أو حدث عنه رسوله كان كافراً، وكان من المشبهة، فأضل بكلامه بشراً كثيراً، وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة، وأصحاب عمرو بن عبيد[٢] بالبصرة ووضع دين

= المقابلة لفظاً ومعنىً بين قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ فإنه سبحانه لعظمته يتعالى أن تدركه الأبصار وتحيط به، وللطفه وخبرته يدرك الأبصار فلا تخفى عليه، فهو العظيم في لطفه اللطيف في عظمته، العالي في قربه القريب في علوه، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير.

انظر: حادي الأرواح (ص٤١٢ـ٤١٤).

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٤١٤ـ٤١٥):

وذكر أحمد أن الجهم اعتمد من القرآن على ثلاث آيات تشتبه معانيها على من لا يفهمها: آية نفي الإدراك لينفي بها الرؤية والمباينة، وآية نفي المثل لينفي بها الصفات ويجعل من أثبتها مشبها، وقوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] لينفي بها علوه على العرش أو ليثبت بها مع ذلك الحلول والاتحاد وعدم مباينته للمخلوقات.

وهذه أصول الجهمية من المعتزلة: أصحاب عمرو بن عبيد، ومن دخل في التجهم أو الاعتزال أو بعض فروع ذلك من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد مع أن هؤلاء الأئمة من أبعد الناس عن أصول الجهمية والمعتزلة.

(٢) قال الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال (٣/ ٢٧٣ـ٢٨٠ رقم ٦٤٠٤):

عمر بن عبيد بن باب أبو عثمان البصري المعتزلي القدري مع زهده وتألهه.

قال ابن معين: لا يكتب حديثه. وقال النسائي: متروك الحديث، وقال أيوب ويونس: يكذب. وقال حميد: كان يكذب على الحسن. وقال ابن حبان: كان من أهل الورع والعبادة إلى أن أحدث ما أحدث، واعتزل مجلس الحسن هو وجماعة معه فسموا =

الجهمية[١]، فإذا سألهم الناس عن قول الله: «ليس كمثله شيء» يقولون: ليس كمثله شيء من الأشياء، وهو تحت الأرضين السبع، كما هو على العرش، ولا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، ولم يتكلم، ولا يتكلم، ولا ينظر إليه أحد في الدنيا، ولا في الآخرة، ولا يوصف ولا يعرف بصفة، ولا يفعل ولا له غاية، ولا له منتهى. ولا يدرك بعقل، وهو وجه كله، وهو علم كله، وهو سمع

= المعتزلة. قال: وكان يشتم الصحابة ويكذب في الحديث وهماً لا تعمداً. وقال الدارقطني وغيره: ضعيف. قال الفلاس: عمرو متروك صاحب بدعة.
وقال ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٧٥):
وهو إمام الكلام وداعية الزندقة الأول، ورأس المعتزلة، سمي به لاعتزال حلقة الحسن البصري، وهو الذي لعنه إمام أهل الأثر مالك بن أنس الأصبحي، وإمام أهل الرأي النعمان بن ثابت الكوفي أبو حنيفة، وحذر منه إمام أهل المشرق عبد الله بن المبارك الحنظلي.

(١) قال ابن تيمية رحمه الله في درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٤١٠ـ٤١١):
قلت: فهذا الذي ذكره الإمام أحمد من مناظرة جهم لأولئك السمنية، هم الذين يحكي أهل المقالات عنهم أنهم أنكروا من العلم ما سوى الحسيات، ولهذا سألوا جهماً: هل عرفه بشيء من الحواس الخمس؟ فقال: لا. قالوا: فما يدريك أنه إله؟ فإنهم لا يعرفون إلا المحسوس، وليس مرادهم أن الرجل لا يعلم إلا ما أحسه، بل لا يثبتون إلا ما هو محسوس للناس في الدنيا.
وهؤلاء كالمعطلة الدهرية الطبائعية من فلاسفة اليونان ونحوهم، الذين ينكرون ما سوى هذا الوجود الذي يشاهده الناس ويحسونه، وهو وجود الأفلاك وما فيها.
ثم قال رحمه الله:
والحجة التي ذكرها أحمد عن الجهم أنه احتج بها على السمنية، هي من أعظم حجج هؤلاء النفاة الحلولية منهم، ونفاة الحلول والمباينة جميعاً، فإن النفاة تارة يقولون بالحلول والاتحاد أو نحو ذلك، وتارة يقولون: لا مباين للعالم ولا داخل فيه.

كله، وهو بصر كله، وهو نور كله، وهو قدرة كله، ولا يكون فيه شيئان، ولا يوصف بوصفين مختلفين، وليس له أعلى ولا أسفل، ولا نواحي ولا جوانب، ولا يمين، ولا شمال، ولا هو خفيف ولا ثقيل، ولا له لون، ولا له جسم وليس هو بمعلوم ولا معقول وكل ما خطر على قبلك أنه شيء تعرفه فهو على خلافه[١].

قال أحمد: وقلنا: هو شيء.

فقالوا: هو شيء لا كالأشياء.

فقلنا: إن الشيء الذي لا كالأشياء قد عرف أهل العقل، أنه لا شيء.

فعند ذلك، تبين للناس أنهم لا يؤمنون بشيء، ولكن يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون من العلانية[٢].

---

(١) قال ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية (١/ ٣١٥):
وهذا معنى قول المؤسس وذويه: إنه على خلاف الحس والخيال أو العقل، وقد تقدم ذكر ذلك.
ثم طفق ابن تيمية يستشهد بكلام الإمام أحمد ويعلق عليه ويوضح ويفند ويشرح ويرد على الجهمية.

(٢) قال ابن تيمية رحمه الله في بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٣٥٢):
والمقصود أنه بين أن وصفه بأنه لا يعرف بشيء من الحواس هو أصل كلامه الذي لزمه به التعطيل، وأنه لا يثبت شيئاً، لأن ما لايكون كذلك لا يكون شيئاً.
وهذا أمر مستقر في فطر المؤمنين لا يشكون في أن الله تعالى قادر على أن يريهم نفسه، وإنما يشكون هل يكون ذلك أو لا يكون. كما سأل المؤمنون النبي ﷺ: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «**نعم، هل تضارون في رؤية الشمس**» وهذا ثابت في الأحاديث الصحيحة المستفيضة المتواترة، فإنما كانوا شاكين: هل يرون ربهم؟ لم يكونوا =

فإذا قيل لهم: فمن تعبدون؟

قالوا: نعبد من يدبر أمر هذا الخلق.

فقلنا: هذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لا يعرف بصفة.

قالوا: نعم.

فقلنا: قد عرف المسلمون أنكم لا تؤمنون بشيء، إنما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرونه.

فقلنا لهم: هذا الذي يدبر هو الذي كلم موسى.

قالوا: لم يتكلم ولا يكلم، لأن الكلام لا يكون إلا بجارحة، والجوارح منفية.

فإذا سمع الجاهل قولهم يظن أنهم من أشد الناس تعظيماً لله، ولا يعلم أنهم إنما يعود قولهم إلى ضلالة وكفر، ولا يشعر أنهم لا يقولون قولهم إلا فرية في الله[١].

= شاكين: هل يقدر على أن يريهم نفسه؟

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٤١٥-٤١٦):
فهذا الذي وصفه الإمام أحمد وغيره من علماء السلف من كلام الجهمية، وهو كلام من وافقهم من القرامطة والباطنية والمتفلسفة المتبعين لأرسطو كابن سينا وأمثاله، ممن يقول: إنه الوجود المطلق أو المقيد بالقيود السلبية، ونحو ذلك، وهو حقيقة كلام القائلين بوحدة الوجود.
ولهذا ذكر عنهم أنهم سلبوه كل ما يتميز به موجود عن موجود، فسلبوه الصفات والأفعال وسائر ما يختص بموجود.
ولما قالوا: هو شيء لا كالأشياء. علم الأئمة مقصودهم، فإن الموجودين لابد أن يتفقا في مسمى الوجود. والشيئين لابد أن يتفقا في مسمى الشيء، فإذا لم يكن هناك =

فمما يسأل عنه يقال له: تجد في كتاب الله آية تخبر عن القرآن أنه مخلوق؟ فلا يجد.

فيقال له: فتجده في سنة رسول الله ﷺ أنه قال: إن القرآن مخلوق. فلا يجد.

فيقال له: فمن أين قلت؟

فيقول من قول الله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣].

وزعم أن «جعل» بمعنى «خلق» فكل مجعول هو مخلوق، فادعى كلمة من الكلام المتشابه يحتج بها من أراد أن يلحد في تنزيله، ويبتغي

= قدر اتفقا فيه أصلا، لزم أن لا يكونا جميعاً موجودين، وهذا مما يعرف بالعقل.
ولهذا قال الإمام أحمد: «فقلنا: إن الشيء الذي لا كالأشياء قد عرف أهل العقل أنه لا شيء» فبين أن هذا مما يعرف بالعقل، وهذا مما يعلم بصريح المعقولات.
ولهذا كان قول جهم المشهور عنه، الذي نقله عن عامة الناس أنه لا يسمّى الله شيئاً، لأن ذلك ـ بزعمه ـ يقتضي التشبيه، لأن اسم الشيء إذا قيل على الخالق والمخلوق لزم اشتراكهما في مسمى الشيء، وهذا تشبيه بزعمه.
وقوله باطل، فإنه سبحانه وإن كان لا يماثله شيء من الأشياء في شيء من الأشياء فمن المعلوم بالعقل أن كل شيئين فهما متفقان في مسمّى الشيء، وكل موجودين فيها متفقان في مسمى الوجود، وكل ذاتين فهما متفقان في مسمى الذات، فإنك: تقول: الشيء والموجود والذات. ينقسم إلى: قديم ومحدث، وواجب وممكن، وخالق ومخلوق. ومورد التقسيم مشترك بين الأقسام.
وقد بسطنا الكلام على هذه المسألة في غير هذ الموضع، وبينا غلط من جعل اللفظ مشتركاً اشتراكاً لفظياً.
وهذا الذي نبه عليه الإمام أحمد من أن مسمى الشيء والوجود ونحو ذلك معنى عام كلي، تشترك فيه الأشياء كلها والموجودات كلها، هو المعلوم بصريح العقل، الذي عليه عامة العقلاء.

الفتنة في تأويلها، وذلك أن «جعل» في القرآن من المخلوقين على وجهين على معنى التسمية، وعلى معنى فعل من أفعالهم[(١)].

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝٩١﴾ [الحجر: ٩١].

قالوا: هو شعر وأنباء الأولين، وأضغاث أحلام، فهذا على معنى التسمية[(٢)]. قال: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩]. يعني أنهم سموهم إناثاً.

ثم ذكر «جعل» على معنى التسمية فقال: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة: ١٩]. فهذا على معنى فعل من أفعالهم[(٣)].

وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ [الكهف: ٩٦] هذا على معنى فعل، فهذا جعل المخلوقين، ثم جعل من أمر الله على معنى غير خلق،

---

(١) قال ابن بطة رحمه الله في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/ ١٥٧):
فقلنا: إن الله عز وجل قد منعك - أيها الجهمي - الفهم في القرآن حين جعلت كل مجعول مخلوقاً، وأن كل جعل في كتاب الله هو بمعنى خلق، فمن هاهنا بليت بهذه الضلالة القبيحة، حين تأولت كتاب الله بجهلك وهوى نفسك، وما زينه لك شيطانك وألقاه على لسانك وإخوانك، وذلك أنا نجد الحرف الواحد في كتاب الله عز وجل على لفظ واحد ومعانيه مختلفة في آيات كثيرة، تركنا ذكرها لكثرتها وقصدنا لذكر الآية التي احتججت بها.
فـ﴿جعل﴾ في كتاب الله عز وجل على غير معنى: خلق. فجعل من المخلوقين على معنى وصف من أوصافهم، وقسم من أقسامهم، وجعل أيضاً على معنى فعل من أفعالهم لا يكون خلقاً ولا يقوم مقام الخلق، فتفهموا الآن ذلك واعقلوه.

(٢) اعتمد ابن بطة في كتابه «الإبانة» على ما قرره الإمام أحمد رحمه الله هنا في رده على الجهمية. انظر: الإبانة (٢/ ١٥٧-١٥٨).

(٣) انظر: الإبانة (٢/ ١٥٩).

لا يكون إلا خلق، ولا يقوم إلا مقام خلق خلقاً لا يزول عنه المعنى ـ وإذا قال الله «جعل» على غير معنى خلق، لا يكون خلق، ولا يقوم مقام خلق، ولا يزول عنه المعنى.

فمما قال الله «جعل» على معنى «خلق» قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

يعني وخلق الظلمات والنور(١).

وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [النحل: ٧٨].

يقول: وخلق لكم السمع والأبصار.

وقال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ [الإسراء: ١٢].

ويقول: وخلقنا الليل والنهار آيتين(٢).

وقال: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح: ١٦].

وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

يقول: خلق منها زوجها. يقول: وخلق من آدم حواء.

وقال: ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾ [النمل: ٦١].

يقول: وخلق لها رواسي، ومثله في القرآن كثير، فهذا وما كان مثله لا يكون إلا على معنى خلق.

---

(١) انظر: الإبانة (٢/ ١٥٩).

(٢) انظر: الإبانة (٢/ ١٥٩).

ثم ذكر «جعل» على غير معنى خلق، قوله: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ﴾ [المائدة: ١٠٣] لا يعني: ما خلق الله من بحيرة ولا سائبة.

وقال الله لإبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤].

لا يعني إني خالق للناس إماماً، لأن خلق إبراهيم كان متقدماً[١].

وقال إبراهيم: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وقال إبراهيم: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

لا يعني: اخلقني مقيم الصلاة[٢].

وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٧٦].

وقال لأم موسى: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [القصص: ٧].

لا يعني: وخالقوه من المرسلين، لأن الله وعد أم موسى أن يرده إليها، ثم يجعله بعد ذلك رسولاً[٣].

وقال: ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ﴾ [الأنفال: ٣٧].

وقال: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥﴾ [القصص: ٥].

---

(١) انظر: الإبانة (٢/ ١٦١).
(٢) انظر: الإبانة (٢/ ١٦١).
(٣) انظر: الإبانة (٢/ ١٦١).

وقال: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

لا يعني: وخلقه دكا. ومثله في القرآن كثير.

فهذا وماكان على مثاله لا يكون على معنى خلق، فإذا قال الله «جعل» على معنى خلق، وقال «جعل» على غير معنى خلق، فبأي حجة. قال الجهمي. جعل على معنى خلق؟ فإن رد الجهمي الجعل إلى المعنى الذي وصفه الله فيه، وإلا كان من الذين يسمعون كلام الله، ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه، وهم يعلمون[1].

فلما قال الله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾ [الزخرف: ٣].

وقال: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٤، ١٩٥].

وقال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مريم: ٩٧].

فلما جعل الله القرآن عربيًّا ويسره بلسان نبيه ﷺ كان ذلك فعلاً من أفعال الله تبارك وتعالى. جعل القرآن به عربيًّا يعني: هذا بيان لمن أراد هداه الله مبيناً، وليس كما زعموا معناه: أنزلناه بلسان العرب. وقيل: بيناه.

ثم إن الجهم ادعى أمراً آخر، وهو من المحال.

فقال: «أخبرونا عن القرآن: أهو الله، أو غير الله؟

---

(١) انظر: الإبانة (٢/ ١٦٢_١٦٥).

فادعى في القرآن أمراً يوهم الناس. فإذا سئل الجاهل عن القرآن: هو الله أو غير الله؟ . . فلابد له من أن يقول بأحد القولين.

فإن قال: هو الله. قال له الجهمي: كفرت. وإن قال: هو غير الله. قال: صدقت، فلم لا يكون غير الله مخلوقاً؟ فيقع في نفس الجاهل من ذلك ما يميل به إلى قول الجهمي.

وهذه المسألة من الجهمي من المغاليط، فالجواب للجهمي إذا سأل فقال: أخبرونا عن القرآن: هو الله أو غير الله؟ قيل له: وإن الله جل ثناؤه لم يقل في القرآن: إن القرآن أنا، ولم يقل: غيري، وقال هو كلامي فسميناه باسم سماه الله به. فقلنا: كلام الله، فمن سمى القرآن باسم سماه الله به كان من المهتدين، ومن سماه باسم غيره كان من الضالين[١].

وقد فصل الله بين قوله وبين خلقه، ولم يسمه قولاً، فقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فلما قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ لم يبق شيء مخلوق إلا كان داخلاً في ذلك، ثم ذكر ما ليس بخلق، فقال: ﴿والأمر﴾. فأمره هو قوله: تبارك رب العالمين أن يكون قوله خلقاً.

وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان: ٣، ٤] ثم قال القرآن: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ﴾

(١) انظر: الإبانة (٢/ ١٧٨-١٧٩).

[الدخان: ٥].

وقال: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤].

يقول: لله القول من قبل الخلق، ومن بعد الخلق.

فالله يخلق ويأمر وقوله غير خلقه.

وقال: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق: ٥].

وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾[١] [هود: ٤٠].

---

(١) انظر: الإبانة (٢/ ١٦٩ـ ١٧٠).

بيان ما فصل الله بين قوله وخلقه

وذلك أن الله جل ثناؤه إذا سمى الشيء الواحد باسمين أو ثلاثة أسامي فهو مرسل غير منفصل، وإذا سمى شيئين مختلفين لا يدعهما مرسلين حتى يفصل بينهما من ذلك قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ [يوسف: ٧٨].

فهذا شيء واحد سماه بثلاثة أسامي، وهو مرسل، ولم يقل: إن له أباً وشيخاً كبيراً[١].

وقال: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ﴾.

ثم قال ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝﴾[٢] [التحريم: ٥].

---

(١) انظر: الإبانة (٢/ ١٦٦-١٦٧).

(٢) هذه الواو يسميها بعض المفسرين بـ«واو الثمانية».
قال الشوكاني في فتح القدير (٢/ ٥٩٣): وقيل: إن الواو زائدة. وقيل: هي واو الثمانية المعروفة عند النحاة، كما في قوله تعالى: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝﴾ وقوله: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ وقوله: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾. وقد أنكر واو الثمانية أبو علي الفارسي، وناظره في ذلك ابن خالويه.
وقال ابن القيم في بدائع الفوائد (٣/ ٥١):
فصل: الكلام على واو الثمانية. قولهم: إن الواو تأتي للثمانية ليس عليه دليل مستقيم، وقد ذكروا ذلك في مواضع، فلنتكلم عليها واحداً واحداً:
الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: =

فلما كانت البكر غير الثيب، لم يدعه مرسلاً حتى فصل بينهما، فذلك قوله: ﴿وأبكاراً﴾. وقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ﴾ ثم قال: ﴿وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩﴾ [فاطر: ١٩] فلما كان البصير غير الأعمى فصل بينهما.

ثم قال: ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝٢١﴾ [فاطر: ٢٠، ٢١].

فلما كان كل واحد من هذا الشيء غير الشيء الآخر فصل بينهما.

ثم قال: ﴿هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣، ٢٤].

= ١١٢] فقيل الواو في «والناهون» واو الثمانية لمجيئها بعد استيفاء الأوصاف السبعة، وذكروا في الآية وجوهاً أخرى.... ذكرها ابن القيم ثم قال:

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ﴾ إلى قوله ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥﴾ [التحريم: ٥] فقيل: هذه واو الثمانية لمجيئها بعد الوصف السابع وليس كذلك. ودخول الواو ههنا متعين، لأن الأوصاف التي قبلها المراد اجتماعها في النساء، وأما وصفا البكارة والثيوبة فلا يمكن اجتماعهما، فتعين العطف، لأن المقصود أنه يزوجه بالنوعين الثيبات والأبكار.

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢].

قيل: المراد إدخال الواو ههنا لأجل الثمانية، وهذا يحتمل أمرين: أحدهما: هذا. وذكر الثاني ثم قال:

والموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] فأتى بالواو لما كانت أبواب الجنة ثمانية. وقال في النار: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١] لما كانت سبعة، وهذا في غاية البعد ولا دلالة في اللفظ على الثمانية حتى تدخل الواو لأجلها، بل هذا من باب حذف الجواب لنكتة بديعة.... الخ.

فهذا كله شيء واحد، فهو مرسل ليس بمفصل.

فلذلك إذا قال الله: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾.

لأن الخلق غير الأمر، فهو منفصل[1].

---

(١) اعتمد ابن بطة في كتابه الإبانة على ما قرره الإمام أحمد هنا في الرد على الجهمية، انظر: الإبانة (٢/ ١٦٦ـ١٦٧).

وقال ابن بطة في (٢/ ١٦٩): فكذلك لما كان الأمر غير الخلق، فصل بالواو، فقال: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ فالأمر أمره وكلامه، والخلق خلقه، وبالأمر خلق الخلق، لأن الله عز وجل أمر بما شاء وخلق بما شاء.

فزعم الجهمي أن الأمر خلق، والخلق خلق، فكأن معنى قول الله عز وجل ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ وإنما هو ألا له الخلق والخلق، فجمع الجهمي بين ما فصله الله.

وقال الآجري في كتاب الشريعة (١/ ٥٠٤ـ ٥٠٥ رقم ١٧١): أخبرنا أبو القاسم أيضاً قال: حدثني سعيد بن نصير أبو عثمان الواسطي في مجلس خلف البزار. قال: سمعت ابن عيينة يقول: ما يقول هذا الدويبة؟ يعني: بشراً المريسي؟ قالوا: يا أبا محمد يزعم أن القرآن مخلوق، فقال: كذب، قال الله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ فالخلق: خلق الله. والأمر: القرآن.

قال محققه الدكتور عبد الله الدميجي: إسناده حسن.

بيان ما أبطل الله أن يكون القرآن إلا وحيا وليس بمخلوق

قوله: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ [النجم: ١].

قال: وذلك أن قريشاً قالوا: إن القرآن شعر، وقالوا: أساطير الأولين، وقالوا: أضغاث أحلام، وقالوا: تقوله محمد من تلقاء نفسه، وقالوا: تعلمه من غيره، فأقسم الله بالنجم إذا هوى، يعني القرآن إذا نزل[1] فقال: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾، يعني محمداً[2] ﴿وَمَا

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في كتاب «التبيان في أقسام القرآن» (ص١٥٢):
قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ [النجم: ١ ـ ٣] أقسم سبحانه بالنجم عند هويه على تنزيه رسوله وبراءته مما نسبه إليه أعداؤه من الضلال والغي. واختلف الناس في المراد بالنجم فقال الكلبي عن ابن عباس: أقسم بالقرآن إذا نزل منجما على رسوله: أربع آيات وثلاثا والسورة، وكان بين أوله وآخره عشرون سنة. وكذلك روى عطاء عنه، وهو قول مقاتل والضحاك ومجاهد، واختاره الفراء. وعلى هذا فسمى القرآن نجماً لتفرقه في النزول. والعرب تسمي التفرق تنجماً، والمفرق نجماً، ونجوم الكتاب أقساطها، ويقول: جعلت مالي على فلان نجوماً منجمة، كل نجم كذا وكذا.

(٢) قال ابن القيم رحمه الله في كتاب «التبيان في أقسام القرآن» (ص١٥٤):
وتأمل كيف قال سبحانه: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ ولم يقل: ما ضل محمد. تأكيداً لإقامة الحجة عليهم بأنه صاحبهم، وهم أعلم الخلق به وبحاله وأقواله وأعماله، وأنهم لا يعرفونه بكذب ولا غي ولا ضلال، ولا ينقمون عليه أمراً واحداً قط. وقد نبه على هذا المعنى بقوله: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ﴾ [المؤمنون: ٦٩] وبقوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢﴾ [التكوير: ٢٢].

غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾﴾ [النجم: ١ ـ ٣].

يقول: إن محمداً لم يقل هذا القرآن من تلقاء نفسه: فقال: ﴿إِنْ هُوَ﴾ يقول: ما هو، يعني القرآن: ﴿إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[1] [النجم: ٤].

فأبطل أن يكون القرآن شيئاً غير الوحي، لقوله: ﴿إِنْ هُوَ﴾ يقول: ما هو ﴿إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ ثم قال: علمه. يعني علم محمداً جبريل، ﷺ وهو: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾﴾ إلى قوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾[2] [النجم: ١٠].

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في كتابه «التبيان في أقسام القرآن» (ص١٥٥):
ثم قال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ ينزه نطق رسوله أن يصدر عن هوى، وبهذا الكمال هداه رشده، وقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾﴾ ولم يقل: وما ينطق بالهوى، لأن نطقه عن الهوى أبلغ، فإنه يتضمن أن نطقه لا يصدر عن هوى، وإذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به، فتضمن نفي الأمرين: نفي الهوى عن مصدر النطق ونفيه عن نفسه، فنطقه بالحق، ومصدره الهدى والرشاد لا الغي والضلال.
ثم قال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ فأعاد الضمير على المصدر المفهوم من الفعل، أي ما نطقه إلا وحي يوحى. وهذا أحسن من قول من جعل الضمير عائدا إلى القرآن فإنه يعم نطقه بالقرآن والسنة، وأن كليهما وحي يوحى.

(٢) قال ابن القيم رحمه الله في كتاب «التبيان في أقسام القرآن» (ص١٥٧):
ثم أخبر تعالى عن وصف من علمه الوحي والقرآن، مما يعلم أنه مضاد لأوصاف الشيطان معلم الضلال والغواية، فقال: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ وهذا نظير قوله: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ [التكوير: ٢٠] وذكرنا هناك السر في وصفه بالقوة، وقوله: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي جميل المنظر حسن الصورة ذو جلالة، ليس شيطاناً أقبح خلق الله وأشوههم صورة، بل هو من أجمل الخلق وأقواهم وأعظمهم أمانة، ومكانة عند الله، وهذا تعديل لسند الوحي والنبوة وتزكية له. كما تقدم نظيره في سورة التكوير، فوصفه بالعلم والقوة وجمال المنظر وجلالته. وهذه كانت أوصاف الرسول البشري =

فسمى الله القرآن وحياً، ولم يسمه خلقاً.

ثم إن الجهم ادعى أمراً آخر، فقال: أخبرونا عن القرآن: هو شيء؟

فقلنا: نعم هو شيء.

فقال: «إن الله خلق كل شيء» فلم لا يكون القرآن مع الأشياء المخلوقة، وقد أقررتم أنه شيء؟[1].

فلعمري[2] لقد ادعى أمراً أمكنه فيه الدعوى، ولبّس على الناس

= والملكي، فكان رسول الله ﷺ أشجع الناس وأعلمهم وأجملهم وأجلهم. والشياطين وتلامذتهم بضد ذلك، فهم أقبح الخلق صورة ومعنى، وأجهل الخلق وأضعفهم هماً ونفوساً.

(١) قال ابن بطة في كتاب «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (٢/ ١٧٠ـ ١٧١):
ثم إن الجهمي ادعى أمراً آخر ليضل به الضعفاء ومن لا علم عنده، فقال: أخبرونا عن القرآن هل هو شيء أو لا شيء؟
فلا يجوز أن يكون جوابه: لا شيء، فيقال له: هو شيء. فيظن حينئذٍ أنه قد ظفر بحجته ووصل إلى بغيته، فيقول: فإن الله يقول: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ والقرآن شيء يقع عليه اسم شيء، وهو مخلوق، لأن الكل يجمع كل شيء.

(٢) عن كعب بن مالك قال: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها حتى كانت غزوة تبوك، إلا بدراً، ولم يعاتب النبي ﷺ أحداً تخلف عن بدر. وإنما خرج يريد العير، فخرجت قريش مغيثين لعيرهم، فالتقوا عن غير موعد كما قال الله عز وجل. ولعمري إن أشرف مشاهد رسول الله ﷺ في الناس لبدر....
أخرجه الترمذي (رقم ٣١٠٢) وهو حديث صحيح أصله في البخاري (رقم ٤٤١٨) ومسلم (رقم ٢٧٦٩).
أخرج البخاري في كتاب التفسير، سورة الحجر عن ابن عباس ﴿لعمرك﴾: لعيشك.
فتح الباري (٨/ ٣٧٩) وكذا في كتاب الأيمان والنذور، باب قول الرجل: لعمرُ الله. =

= قال ابن عباس: لعمرك: لعيشك. فتح الباري (١١/ ٥٤٦).
قال الحافظ في الفتح (١١/ ٥٤٧):
قوله (باب قول الرجل: لعمر الله) أي هل يكون يميناً؟ وهو مبني على تفسير: لعمر. ولذلك ذكر أثر ابن عباس، وقد تقدم في تفسير سورة الحجر وأن ابن أبي حاتم وصله.
وأخرج أيضاً عن أبي الجوزاء عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لعمرك﴾ أي حياتك.
قال الراغب: العمر بالضم والفتح واحد، ولكن خص الحلف بالثاني.
قال الشاعر: عمرك الله كيف يلتقيان. أي سألت الله أن يطيل عمرك. وقال أبو القاسم الزجاج: العمر الحياة. فمن قال لعمر الله كأنه حلف ببقاء الله. واللام للتوكيد والخبر محذوف، أي ما أقسم به، ومن ثم قال المالكية والحنفية: تنعقد بها اليمين، لأن بقاء الله من صفة ذاته. وعن مالك: لا يعجبني الحلف بذلك وقد أخرج إسحاق بن راهويه في مصنفه عن عبد الله بن أبي بكرة قال: كانت يمين عثمان بن أبي العاص: لعمري.
وقال الشافعي وإسحاق: لا تكون يميناً إلا بالنية، لأنه يطلق على العلم وعلى الحق، وقد يراد بالعلم المعلوم وبالحق ما أوجبه الله. وعن أحمد كالمذهبين، والراجح عنه كالشافعي، وأجابوا عن الآية بأن لله أن يقسم من خلقه بما شاء، وليس ذلك لهم لثبوت النهي عن الحلف بغير الله.
وقال النووي في شرح مسلم (١/ ١٦٨):
قوله ﷺ: «**أفلح وأبيه إن صدق**» هذا مما جرت عادتهم أن يسألوا عن الجواب عنه مع قوله ﷺ: «**من كان حالفاً فليحلف بالله**» وقوله ﷺ: «**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم**» وجوابه أن قوله ﷺ: «**أفلح وأبيه**» ليس هو حلفا، وإنما هو كلمة جرت عادة العرب أن تدخلها في كلامها غير قاصدة بها حقيقة الحلف، والنهي إنما ورد فيمن قصد حقيقة الحلف لما فيه من إعظام المحلوف به ومضاهاته به الله سبحانه وتعالى. فهذا هو الجواب المرضي. وقيل: يحتمل أن يكون هذا قبل النهي عن الحلف بغير الله تعالى، والله أعلم.
قلت: ولما كان النهي عن الحلف بغير الله معلوم لدى إمام السنة، تعيّن حمل هذا الكلام على الصورة الأولى التي ذكرها النووي رحمه الله، وهذا هو الجواب المرضي إن شاء الله تعالى.

بما ادعى.

فقلنا: إن الله في القرآن لم يسم كلامه شيئاً، إنما سمى شيئاً الذي كان بقوله: ألم تسمع إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ﴾ [النحل: ٤٠].

فالشيء ليس قوله: إنما الشيء الذي كان بقوله.

وفي آية أخرى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا﴾ [يس: ٨٢].

فالشيء ليس هو أمره، إنما الشيء الذي كان بأمره.

ومن الأعلام والدلالات أنه لا يعني كلامه مع الأشياء المخلوقة قال الله للريح التي أرسلها على عاد: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥].

وقد أتت تلك الريح على أشياء لم تدمرها، منازلهم، ومساكنهم، والجبال التي بحضرتهم، فأتت عليها تلك الريح ولم تدمرها. وقال: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ﴾.

فكذلك إذا قال: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢] لا يعني نفسه ولا علمه ولا كلامه مع الأشياء المخلوقة.

وقال لملكة سبأ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٢٣].

قد كان ملك سليمان شيئاً ولم تؤته، وكذلك إذا قال: ﴿خَٰلِقُ

= ويحمل هذا على مثل قولهم: ثكلتك أمك. ورغم أنفك. وتربت يمينك. ولم يقصد بهذا الدعاء وإنما يجري على ألسنة الناس بلا إرادة الدعاء.

﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ لا يعني كلامه مع الأشياء المخلوقة.

وقال الله لموسى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ۝﴾ [طه: ٤١]. ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وقال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦].

ثم قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

فقد عرف من عقل عن الله أنه لا يعني نفسه مع الإنفس التي تذوق الموت، وقد ذكر الله عز وجل كل نفس، فكذلك إذا قال: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢] لا يعني نفسه ولا علمه ولا كلامه مع الأشياء المخلوقة[١].

---

(١) قال ابن بطة رحمه الله في كتاب «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (٢/ ١٧١-١٧٢): فيقال له: أما قولك: إن الكل يجمع كل شيء، فقد رد الله عليك ذلك وأكذبك القرآن، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ولله عز وجل نفس لا تدخل في هذا الكل، وكذلك كلامه شيء لا يدخل في الأشياء المخلوقة، كما قال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] فإن زعمت أن الله لا نفس له، فقد أكذبك القرآن ورد عليك قولك، قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقال: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ۝﴾ [طه: ٤١]، وقال فيما حكاه عن عيسى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]. فقد علم من آمن بالله واليوم الآخر أن كتاب الله حق، وما قاله فيه حق، وأن لله نفساً وأن نفسه لا تموت، وأن قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] لا تدخل في هذا نفس الله.

وكذلك يخرج كلامه من الكلام المخلوق، كما تخرج نفسه من الأنفس التي تموت، =

ففي هذا دلالة وبيان لمن عقل عن الله. فرحم الله من فكر، ورجع عن القول الذي يخالف الكتاب والسنّة، ولم يقل على الله إلا الحق، فإن الله قد أخذ ميثاق خلقه فقال: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

وقال في آية أخرى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

فقد حرم الله أن يقال عليه الكذب، وقد قال: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠]. فأعاذنا الله وإياكم من فتن الضالين.

وقد ذكر الله كلامه في غير موضع من القرآن، فسماه كلاماً، ولم يسمه خلقاً[1].

= وقد فهم من آمن بالله وعقل عن الله أن كلام الله ونفس الله وعلم الله وقدرة الله وعزة الله وسلطان الله وعظمة الله وحلم الله وعفو الله ورفق الله، وكل شيء من صفات الله أعظم الأشياء، وأنها كلها غير مخلوقة، لأنها صفات الخالق ومن الخالق، فليس في قوله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢] لا كلامه ولا عزته ولا قدرته ولا سلطانه ولا عظمته ولا وجوده ولا كرمه، لأن الله تعالى لم يزل بقوله وعلمه وقدرته وسلطانه وجميع صفاته إلهاً واحداً، وهذه صفاته قديمة بقدمه أزلية بأزليته دائمة بدوامه باقية ببقائه، لم يخل ربنا من هذه الصفات طرفة عين، وإنما أبطل الجهمي صفاته يريد بذلك إبطاله.

(١) عن صالح بن أحمد قال: سمعت أبي والمعنى واحد يقول: افترقت الجهمية على ثلاث فرق، فرقة قالوا: القرآن مخلوق. وفرقة قالوا: كلام الله ونسكت. وفرقة قالوا: =

قوله: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ [البقرة: ٣٧] وقال: ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٧٥]. وقال: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وقال: ﴿ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وقال: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء: ١٦٤]. وقال: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] فأخبرنا الله أن النبي ﷺ كان يؤمن بالله وبكلام الله، وقال: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [الفتح: ١٥]. وقال: ﴿ لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى ﴾ [الكهف: ١٠٩]. وقال: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦].

ولم يقل: حتى يسمع خلق الله.

فهذه نصوص بلسان عربي مبين، لا يحتاج إلى تفسير هو مبين بحمد الله. وقد سألت الجهمية: أليس إنما قال الله: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٣٦]، ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣]، ﴿ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا

= ألفاظنا مخلوقة. زاد صالح بن أحمد عن أبيه قال: وقال الله في كتابه: ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ١٠٩] فجبريل سمعه من الله عز وجل، وسمعه النبي ﷺ من جبريل ﷺ، وسمعه أصحاب النبي ﷺ من النبي، فالقرآن كلام غير مخلوق.

أخرجه الخلال في السنة (٥/ ١٢٦ رقم ١٧٧٩).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٧):

ومذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم ما دل عليه الكتاب والسنة، وهو الذي يوافق الأدلة العقلية أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.

بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، ﴿ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠]، ﴿ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٤]، وقال: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال: ﴿ فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ ﴾ [الأنعام: ٥٤].

ولم نسمع الله يقول: قولوا: إن كلامي خلق.

وقال: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ ﴾ [النساء: ١٧١].

وقال: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا ﴾ [النساء: ٩٤]، ﴿ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾ [البقرة: ١٠٤]، ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ ﴾ [البقرة: ١٥٤]، ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤]، ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ﴿ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ ﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ [الإسراء: ٢٩]، ﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ ﴾ [لقمان: ١٨].

ومثله في القرآن كثير.

فهذا ما نهى الله عنه، ولم يقل لنا: لا تقولوا: إن القرآن كلامي.

وقد سمت الملائكة كلام الله كلاماً ولم تسمه خلقاً، قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ ﴾ [سبأ: ٢٣].

وذلك أن الملائكة لم يسمعوا صوت الوحي ما بين عيسى ومحمد

ﷺ، وبينهما كذا وكذا سنة.

فلما أوحى الله إلى محمد ﷺ سمع الملائكة صوت الوحي كوقع الحديد على الصفا، فظنوا أنه أمر من الساعة، ففزعوا وخروا لوجوههم سجداً، فذلك قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [سبأ: ٢٣].

يقول: حتى إذا انجلى الفزع عن قلوبهم رفع الملائكة رؤوسهم فسأل بعضهم بعضاً فقالوا: ماذا قال ربكم[١]. ولم يقولوا، ماذا خلق ربكم[٢]. فهذا بيان لمن أراد الله هداه.

ثم إن الجهم ادعى أمراً آخر، فقال: أنا أجد آية في كتاب الله تبارك وتعالى تدل على أن القرآن مخلوق. فقلنا في أي آية؟.. فقال: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢].

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: «**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحقَّ، وهو العلي الكبير...**» إلى آخر الحديث. أخرجه البخاري (رقم ٤٧٠١، ٤٨٠٠، ٧٤٨١).

(٢) بوّب البخاري رحمه الله في كتاب التوحيد من صحيحه باباً قال فيه: قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣] ولم يقل: ماذا خلق ربكم. وقال جل ذكره: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال مسروق عن ابن مسعود: إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئاً، فإذا فزع عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحق، ونادوا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ ويذكر عن جابر عن عبدالله بن أنيس قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان**».

صحيح البخاري، كتاب التوحيد باب رقم ٣٢ (ص١٤٢٧) طبعة بيت الأفكار الدولية.

فزعم أن الله قال القرآن محدث. وكل محدث مخلوق[١].

فلعمري، لقد شبه على الناس بهذا. وهي آية من المتشابه فقلنا في ذلك قولاً واستعنا بالله، ونظرنا في كتاب الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله[٢].

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٨٢): محدث أي جديد إنزاله، كما قال ابن عباس: ما لكم تسألون أهل الكتاب عما بأيديهم وقد حرفوه وبدلوه وزادوا فيه ونقصوا منه، وكتابكم أحدث الكتب بالله تقرؤونه محضاً لم يشب؟!.

(٢) قال ابن بطة في الإبانة (٢/ ١٨٣ـ ١٨٥): ثم إن الجهمي إذا بطلت حجته فيما ادعاه ادعى أمراً آخر، فقال: أنا أجد في الكتاب آية تدل على أن القرآن مخلوق، فقيل له: أية آية هي؟

قال: قول الله عز وجل: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢].

أفلا ترون أن كل محدث مخلوق؟

فوهم على الضعفاء والأحداث وأهل الغباوة وموّه عليهم، فيقال له: إن الذي لم يزل به عالماً لا يكون محدثاً، فعلمه أزلي كما أنه هو أزلي، وفعله مضمر في علمه، وإنما يكون محدثاً ما لم يكن به عالماً حتى علمه فيقول: إن الله عز وجل لم يزل عالماً بجميع ما في القرآن قبل أن ينزل القرآن، وقبل أن يأتي به جبريل وينزل به محمد ﷺ. وقد قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] قبل أن يخلق آدم.

وقال: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

يقول: كان إبليس في علم الله كافراً قبل أن يخلقه، ثم أوحى بما قد كان علمه من جميع الأشياء.

وقد أخبرنا عز وجل عن القرآن، فقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤]، فنفى عنه أن يكون غير الوحي، وإنما معنى قوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ أراد: محدثا علمه وخبره وزجره وموعظته عند محمد ﷺ، وإنما أراد: أن علمك يا محمد ومعرفتك محدث بما أوحي إليك من القرآن، وإنما أراد: أن نزول القرآن عليك يحدث لك ولمن سمعه علم وذكر لم تكونوا تعلمونه.

ألم تسمع إلى قوله: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣] وقال تعال: ﴿وَكَذَٰلِكَ =

قال أحمد رضي الله عنه: اعلم أن الشيئين إذا اجتمعا في اسم يجمعهما فكان أحدهما أعلى من الآخر، ثم جرى عليهما اسم مدح، فكان أعلاهما أولى بالمدح وأغلب عليه، وإن جرى عليه اسم ذم فأدناهما أولى به، ومن ذلك قول الله تعالى في كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ

= أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢] وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾ [طه: ١١٣].

فأخبر أن الذكر المحدث هو ما يحدث من سامعين وممن علمه وأنزل عليه إلا أن القرآن محدث عند الله، ولا أن الله كان ولا قرآن، لأن القرآن إنما هو من علم الله، فمن زعم أن القرآن هو بعد فقد زعم أن الله كان ولا علم ولا معرفة عنده بشيء مما في القرآن ولا اسم له ولا عزة له ولا صفة له حتى أحدث القرآن.

ولا نقول: إنه فعل الله، ولا يقال: كان الله قبله، ولكن نقول: إن الله لم يزل عالماً، لا متى علم، ولا كيف علم، وإنما وهمت الجهمية الناس ولبّست عليهم بأن يقول: أليس الله الأول قبل كل شيء، وكان ولا شيء، وإنما المعنى في: كان الله قبل كل شيء، قبل السموات وقبل الأرضين، وقبل كل شيء مخلوق، فأما أن نقول قبل علمه وقبل قدرته وقبل حكمته وقبل عظمته وقبل كبريائه وقبل جلاله وقبل نوره، فهذا كلام الزنادقة.

وقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ فإنما هو ما يحدث الله عند نبيه وعند أصحابه والمؤمنين من عباده، وما يحدثه عندهم من العلم وما لم يسمعوه، ولم يأتهم به كتاب قبله ولا جاءهم به رسول.

ألم تسمع إلى قوله عز وجل: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الضحى: ٧] وإلى قوله فيما يحدث القرآن في قلوب المؤمنين إذا سمعوه ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣] فأعلمنا أن القرآن يحدث نزوله لنا علماً وذكراً وخوفاً، فعلم نزوله محدث عندنا، وغير محدث عند ربنا عز وجل.

لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج: ٦٥]، ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ [الإنسان: ٦] يعني الأبرار دون الفجار، فإذا اجتمعوا في اسم الإنسان، واسم العباد، فالمعنى في قول الله جل ثناؤه: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ [الإنسان: ٦] يعني الأبرار دون الفجار، لقوله إذا انفرد الأبرار: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [الانفطار: ١٣].

وإذا انفرد الفجار: ﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الانفطار: ١٤].

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج: ٦٥] فالمؤمن أولى به وإن اجتمعا في اسم الناس، لأن المؤمن إذا انفرد أعطى المدحة لقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج: ٦٥]. ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وإذا انفرد الكفار جرى عليهم الذم في قوله: ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [هود: ١٨]، وقال: ﴿ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [المائدة: ٥]. فهؤلاء لا يدخلون في الرحمة.

وفي قوله: ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الشورى: ٢٧].

فاجتمع الكافر والمؤمن في اسم العبد، والكافر أولى بالبغي من المؤمنين، لأن المؤمنين انفردوا ومدحوا فيما بسط لهم من الرزق، وهو قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ ﴾ [الفرقان: ٦٧].

وقوله: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [البقرة: ٣].

وقد بسط الرزق لسليمان بن داود، ولذي القرنين، وأبي بكر،

وعمر، ومن كان على مثالهم ممن بسط له فلم يبغِ.

وإذا انفرد الكافر وقع عليه اسم البغي في قوله لقارون: ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [القصص: ٧٦]. ونمرود بن كنعان حين آتاه الله الملك فحاج في ربه، وفرعون حين قال موسى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [يونس: ٨٨].

فلما اجتمعوا في الاسم الواحد فجرى عليهم اسم البغي كان الكفار أولى به، كما أن المؤمن أولى بالمدح.

فلما قال الله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢].

فجمع بين ذكرين. ذكر الله، وذكر نبيه. فأما ذكر الله إذا انفرد لم يجرِ عليه اسم الحدث، ألم تسمع إلى قوله: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

وإذا انفرد ذكر النبي ﷺ فإنه جرى عليه اسم الحدث، ألم تسمع إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات: ٩٦].

فذكر النبي ﷺ له عمل، والله له خالق محدث، والدلالة على أنه جمع بين ذكرين لقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]. فأوقع عليه الحدث عنه إتيانه إيانا، وأنت تعلم أنه لا يأتينا بالأنباء إلا مبلغ ومذكر، وقال الله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾ [الذاريات: ٥٥].

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩﴾ [الأعلى: ٩]، ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١﴾

[الغاشية: ٢١].

فلما اجتمعوا في اسم الذكر، جرى عليهم اسم الحدث، وذكر النبي إذا انفرد وقع عليه اسم الخلق وكان أولى بالحدث من ذكر الله الذي إذا انفرد لم يقع عليه اسم خلق، ولا حدث، فوجدنا دلالة من قول الله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] إلى النبي ﷺ، لأن النبي ﷺ كان لا يعلم فعلمه الله، فلما علمه الله كان ذلك محدثاً إلى النبي ﷺ.

ثم إن الجهم ادعى أمراً آخر فقال: إنا وجدنا آية في كتاب الله تدل على أن القرآن مخلوق.

فقلنا أي آية؟

فقال: قول الله: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾ [النساء: ١٧١]. وعيسى مخلوق.

فقلنا: إن الله منعك الفهم في القرآن، عيسى تجري عليه ألفاظ لا تجري على القرآن، لأنه يسميه مولوداً وطفلاً وصبياً وغلاماً، يأكل ويشرب، وهو مخاطب بالأمر والنهي، يجري عليه اسم الخطاب والوعد والوعيد، ثم هو من ذرية نوح، ومن ذرية إبراهيم، ولا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى: هل سمعتم الله يقول في القرآن ما قال في عيسى؟ ولكن المعنى من قول الله جل ثناؤه: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٧١].

فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له «كن» فكان عيسى «بكن»

وليس عيسى هو الكن، ولكِنْ بالكُنِّ كان، فالكُنُّ من الله قول، وليس الكن مخلوقاً[(١)].

وكذبت النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى، وذلك أن الجهمية قالوا: عيسى روح الله وكلمته، لأن الكلمة مخلوقة، وقالت النصارى: عيسى روح الله من ذات الله. وكلمته من ذات الله. كما يقال: إن هذه الخرقة من هذا الثوب، وقلنا نحن: إن عيسى بالكلمة كان، وليس عيسى هو الكلمة.

وأما قول الله ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] يقول: من أمره كان الروح فيه كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

يقول من أمره وتفسير روح الله إنما معناها أنها روح بكلمة الله خلقها الله، كما يقال: عبد الله وسماء الله وأرض

---

(١) قال الدارمي في «رده على المريسي الجهمي العنيد» (٢/ ٦٧٤-٦٨٥):
فيقال لهذا المعارض: أو يحتاج في هذا إلى تفسير ومخرج؟ قد عقل تفسيره عامة من آمن بالله: أنه إذا أراد شيئاً قال له: ﴿كن فيكون﴾ ومتى لا يقول له: كن لا يكون. فإذا قال: (كن) كان، فهذا المخرج من أنه كان بإرادته وبكلمته، لا أنه نفس الكلمة التي خرجت منه، ولكن بالكلمة كان، فالكلمة من الله (كن) غير مخلوقة، والكائن بها مخلوق.
وقول الله في عيسى: ﴿روح الله وكلمته﴾ فبين الروح والكلمة فرق في المعنى، لأن الروح الذي نفخ فيها مخلوق امتزج بخلقه، والكلمة من الله غير مخلوقة لم تمتزج بعيسى، ولكن كان بها، وإن كره لأنها من الله أمر، فعلى هذا التأويل قلنا، لا على ما ادعيت علينا من الكذب والأباطيل.

الله[١].

ثم إن الجهم ادعى أمراً آخر، فقال: إن الله يقول: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [السجدة: ٤].

فزعم أن القرآن لا يخلو أن يكون في السموات أو في الأرض أو فيما بينهما فشبَّه على الناس ولبَّس عليهم.

فقلنا له: أليس إنما وقع الله جل ثناؤه والخلق والمخلوق على ما في السموات والأرض وما بينهما فقالوا: نعم.

فقلنا: هل فوق السموات شيء مخلوق؟

قالوا: نعم. فقلنا: فإنه لم يجعل ما فوق السموات مع الأشياء

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «درء تعارض العقل والنقل» (٤/ ١٠، ١١) بعد أن نقل هذه الشبهة عن الجهمية:
فبيّن الإمام أحمد أن الجهمية المعطلة والنصارى الحلولية ضلوا في هذا الموضع، فإن الجهمية النفاة يشبهون الخالق تعالى بالمخلوق في صفات النقص، كما ذكر الله تعالى عن اليهود أنهم وصفوه بالنقائص، وكذلك الجهمية النفاة إذا قالوا: هو في نفسه لا يتكلم ولا يحب ونحو ذلك من نفيهم، والحلولية يشبهون المخلوق بالخالق، فيصفونه بصفات الكمال التي لا تصلح إلا لله، كما فعلت النصارى في المسيح، ومن جمع بين النفي والحلول كحلولية الجهمية... ثم قال رحمه الله:
وكذلك الكلام يراد به الكلام الذي هو الصفة، كقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] وقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥] ويراد به ما فعل بالكلمة كالمسيح الذي قال له: كن. فكان فخلقه من غير أب على غير الوجه المعتاد المعروف في الآدميين، فصار مخلوقاً بمجرد الكلمة دون جمهور الآدميين، كما خلق آدم وحواء أيضاً على غير الوجه المعتاد، فصار عيسى عليه السلام مخلوقاً بمجرد الكلمة دون سائر الآدميين.

المخلوقة، وقد عرف أهل العلم أن فوق السموات السبع الكرسي والعرش واللوح المحفوظ والحجب وأشياء كثيرة لم يسمها، ولم يجعلها مع الأشياء المخلوقة، وإنما وقع الخبر من الله على السموات والأرض وما بينهما.

وقلنا فيما ادعوا: إن القرآن لا يخلو أن يكون في السموات أو في الأرض أو فيما بينهما، فقلنا: الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الروم: ٨].

فالذي خلق به السموات والأرض، قد كان قبل السموات والأرض والحق الذي خلق به السموات والأرض هو قوله، لأن الله يقول الحق وقال: ﴿ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴾ [ص: ٨٤]، ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [الأنعام: ٧٣].

فالحق الذي خلق به السموات والأرض قد كان قبل السموات والأرض، والحق قوله، وليس قوله مخلوقاً(١).

---

(١) قال ابن بطة في كتاب «الإبانة» ٢/ ١٩٠ـ١٩١):
ثم إن الجهمي ادعى أمراً آخر، فقال: إن الله عز وجل يقول: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ [الدخان: ٣٨] فزعم أن القرآن لا يخلو أن يكون في السماوات أو في الأرض أو فيما بينهما.
فيقال له: إن الله عز وجل يقول: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الحجر: ٨٥] فالحق الذي خلق به السموات والأرض ومابينهما هو قوله وكلامه، لأنه هو الحق وقوله الحق ﴿ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴾ [ص: ٨٤].
وقال: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ ﴾ [الأنعام: ٧٣] فأخبر بأن الخلق كله كان بالحق والحق قوله وكلامه.

=

بيان ما جحدت الجهمية من قول الله سبحانه
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾

قال أحمد رحمه الله. فقلنا لهم: لِمَ أنكرتم أن أهل الجنة ينظرون إلى ربهم؟ فقالوا: لا ينبغي لأحد أن ينظر إلى ربه، لأن المنظور إليه معلوم موصوف، لا يرى إلا شيء يفعله.

فقلنا: أليس الله يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]؟

فقالوا: إن معنى ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾ أنها تنتظر الثواب من ربها، وإنما ينظرون إلى فعله وقدرته. وتلوا آية من القرآن: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥].

فقالوا: إنه حين قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أنهم لم يروا ربهم، ولكن المعنى: ألم ترَ إلى فعل ربك؟

فقلنا: إن فعل الله لم يزل العباد يرونه، وإنما قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ

= وقال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النمل: ٣] وقال: ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [يونس: ٥] يعني قوله وكلامه، فقوله وكلامه قبل السموات والأرض وما بينهما، فتفهموا رحمكم الله ولا يستفزنكم الجهمي الخبيث بتغاليطه وتمويهه وتشكيكه ليزلكم عن دينكم، فإن الجهمي لا يألو جهداً في تكفير الناس وتضليلهم. عصمنا الله وإياكم من فتنته برحمته.

﴿ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾.

فقالوا: إنما تنتظر الثواب من ربها[1].

---

(١) قال ابن بطة رحمه الله في كتاب «الإبانة» (٣/ ٧٢-٧٤):
وقالت الجهمية: إنما معنى قوله: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٣] إنما أراد بذلك الانتظار. فخالفتِ في ذلك بهذا التأويل جميع لغات العرب، وما يعرفه الفصحاء من كلامها، لأن القران إنما نزل بلسان العرب، قال الله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النحل: ١٠٣]، وقال: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾ [الزمر: ٢٨] فليس يجوز عند أحد ممن يعرف لغات العرب وكلامها أن يكون معنى قوله: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ الانتظار.
ألا ترى أنه لا يقول أحد: إني أنظر إليك. يعني: أنتظرك. وإنما يقول: أنتظرك. فإذا دخل في الكلام إلى، فليس يجوز أن يعني به غير النظر، يقول: أنظر إليك.
وكذلك قوله: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ ولو أراد الانتظار لقال: لِربها منتظرة. ولِربها ناظرة.
وذلك كله واضح بيّن عند أهل العلم ممن وهب الله له علماً في كتابه وبصراً في دينه.
ثم قال رحمه الله: سمعت أبا بكر ابن الأنباري النحوي يقول في قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ ولو كان بمعنى منتظرة ما جاز أن تكون ناضرة، لأن المنتظر على وجهه الحزن، لأنه متوقع شيئاً لم يحصل له، والناضرة مسفرة مشرقة ضاحكةٍ مستبشرة.
ووجه اخر: أنه لو أراد بالناظرة: منتظرة، كان يقول: لربها ناظرة، ولم يقل: إلى ربها ناظرة.
* وقال ابن منده في الرد على الجهمية (ص١٠٢):
أجمع أهل التأويل كابن عباس وغيره من الصحابة، ومن التابعين محمد بن كعب وعبد الرحمن بن سابط والحسن بن أبي الحسن وعكرمة وأبو صالح وسعيد بن جبير وغيرهم أن معناه: إلى وجه ربها ناظرة. والاخرون نحو معناه، ومن روى عنه أن معناه: أنها تنتظر الثواب. فقول شاذ لا يثبت.
* وقال الدارمي في رده على المريسي الجهمي العنيد (١/ ٣٦٧-٣٦٨):
=

= وقد سبق من الله القول بأنه: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ أبصار أهل الدنيا، فأخذتهم الصاعقة بظلمهم وسؤالهم عما حظره الله على أهل الدنيا، ولو قد سألوه رؤيته في الآخرة كما سأل أصحاب محمد ﷺ محمداً ﷺ لم تصبهم تلك الصاعقة، ولم يقل لهم إلا ما قال محمد ﷺ لأصحابه إذ سألوه: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «**نعم، لا تضارون في رؤيته**» فلم يعبهم الله ولا رسوله بسؤالهم عن ذلك، بل حسنه لهم وبشرهم بها بشرى جميلة، كما رويت أيها المريسي عنه.

وقد بشرهم الله تعالى بها قبله في كتابه، فقال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ وقال للكفار: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ فقوم موسى سألوا نبيهم ما حظره الله على أهل الدنيا بقوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ وسأل أصحاب محمد ﷺ نبيهم ما أخبر الله أنه سيعطيهم ويثيبهم به، فصعق قوم موسى بسؤالهم ما لا يكون، وسَلِمَ أصحاب محمد ﷺ بسؤالهم ما يكون. ومتى عاب الله على قوم موسى سؤال الرؤية في الآخرة، فتفتري بذلك عليهم؟ تكذب على الله وعلى رسوله، والله لا يحب الكاذبين.

* وقال الآجري في كتاب «الشريعة» (٢/ ٩٧٩-٩٨٠):

فإن اعترض جاهل ممن لا علم معه أو بعض هؤلاء الجهمية الذين لم يوفقوا للرشاد لعب بهم الشيطان، وحرموا التوفيق، فقال: والمؤمنون يرون الله يوم القيامة؟

قيل له: نعم، والحمد لله تعالى على ذلك.

فإن قال الجهمي: أنا لا أومن بهذا.

قيل له: كفرت بالله العظيم.

فإن قال: وما الحجة؟

قيل: لأنك رددت القرآن والسنة وقول الصحابة رضي الله عنهم وقول علماء المسلمين، واتبعت غير سبيل المؤمنين، وكنت ممن قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء: ١١٥].

فأما نص القرآن فقول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ وقال تعالى وقد أخبرنا عن الكفار أنهم محجوبون عن رؤيته، فقال تعالى ذكره: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ

فقلنا: إنها مع ما تنتظر الثواب هي ترى ربها.

فقالوا: إن الله لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة، وتلوا آية من المتشابه من قول الله جل ثناؤه ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وقد كان النبي ﷺ يعرف معنى قول الله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، وقال: «**إنكم سترون ربكم**»[(١)].

وقال لموسى: ﴿لن تراني﴾. ولم يقل: لن أرى. فأيهما أولى أن نتبع: النبي ﷺ حين قال: «**إنكم سترون ربكم**»، أو قول الجهمي حين قال: لا ترون ربكم؟! والأحاديث في أيدي أهل العلم عن النبي ﷺ أن أهل الجنة يرون ربهم، لا يختلف فيها أهل العلم.

ومن حديث سفيان عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد في قول الله: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قال: «**النظر إلى وجه**

= لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [المطففين: ١٥-١٧] فدل بهذه الآية: أن المؤمنين ينظرون إلى الله، وأنهم غير محجوبين عن رؤيته كرامة منه لهم.

وانظر كذلك (٢/ ٩٨٦-٩٩٤).

(١) عن جرير رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلةً - يعني البدر - فقال: «**إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا**» ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [ق: ٣٩].

الحديث أخرجه البخاري (رقم ٥٥٤) ومسلم (رقم ٦٣٣).

الله»[1].

ومن حديث ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى [عن صهيب عن النبي ﷺ][2] قال: «**إذا استقر أهل الجنة في الجنة نادى منادٍ: يا أهل الجنة إن الله قد أذن لكم في الزيادة. قال: فيكشف الحجاب [فيتجلى لهم**»[3]. وذكر الحديث.

قال الإمام أحمد رحمه الله][4] فينظرون إلى الله لا إله إلا هو، وإنا لنرجو أن يكون الجهم وشيعته ممن لا ينظرون إلى ربهم، ويحجبون عن الله، لأن الله قال للكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين: ١٥] فإذا كان الكافر يحجب عن الله، والمؤمن يحجب عن

---

(١) أخرجه موقوفاً على أبي بكر الصديق رضي الله عنه ابن منده في رده على الجهمية (ص٩٥ رقم ٨٤) وكذا الآجري في الشريعة (٢/ ٩٩٤ـ٩٩٦ رقم ٥٨٩ـ٥٩١) وروي موقوفاً على حذيفة رضي الله عنه عند الآجري رقم (٥٩١/ ب).

(٢) ما بين المعكوفين سقط من نسخة د/ عميرة واستدركته من نسخة الشيخ الأنصاري.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٣٣٢)، (٦/ ١٥) ومسلم (رقم ١٨١) والترمذي (رقم ٢٥٥٢، ٣١٠٥) وابن ماجه (رقم ١٨٧) وابن منده في رده على الجهمية (رقم ٨٣) والآجري في الشريعة (رقم ٦٠٢ـ ٦٠٤) ولفظه عند مسلم: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال. فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل**».
قال مسلم: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. حدثنا يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة بهذا الإسناد. وزاد: ثم تلا هذه الآية: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

(٤) ما بين المعكوفين سقط من نسخة دكتور عميرة، واستدركته من نسخة الشيخ الأنصاري.

الله، فما فضل المؤمن على الكافر؟..

والحمد لله الذي لم يجعلنا مثل جهم وشيعته، وجعلنا ممن اتبع، ولم يجعلنا ممن ابتدع، والحمد لله وحده[1].

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في كتابه «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (ص٤٠٢):
الباب الخامس والستون في رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى وتجليه لهم ضاحكاً إليهم.
هذا الباب أشرف أبواب الكتاب وأجلها قدراً وأعلاها خطراً وأقرها لعيون أهل السنة والجماعة وأشدها على أهل البدعة والضلالة، وهي الغاية التي شمّر إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، وتسابق إليها المتسابقون، ولمثلها فليعمل العاملون، إذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم، وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم، اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، وجميع الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام على تتابع القرون، وأنكرها أهل البدع المارقون والجهمية المتهوكون والفرعونية المعطلون والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون ومن حبل الله منقطعون.
ثم قال ابن القيم رحمه الله:
الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٢٥ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٦﴾ [يونس: ٢٥، ٢٦] فالحسنى الجنة، والزيادة: النظر إلى وجهه الكريم، كذلك فسرها رسول الله ﷺ الذي أنزل عليه القرآن، فالصحابة من بعده. ثم ذكر حديث صهيب، وحديث أنس وكعب بن عجرة وأبي بن كعب وأبي موسى الأشعري مرفوعاً إلى النبي ﷺ: «**أن الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجهه الكريم**».
ثم ذكر هذا التفسير موقوفاً على أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وأبي موسى الأشعري وابن مسعود.
وذكر أيضاً أن هذا التفسير هو قول كل من عبد الرحمن بن أبي ليلى وعامر بن سعد وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي والضحاك بن مزاحم وعبد الرحمن بن سابط وأبي إسحاق السبيعي وقتادة وسعيد بن المسيب والحسن البصري وعكرمة مولى ابن عباس ومجاهد بن جبر.

=

بيان ما أنكرت الجهمية من أن يكون الله كلَّم موسى

فقلنا: لِمَ أنكرتم ذلك؟

قالوا: إن الله لم يتكلم ولا يتكلم[١]. إنما كوَّن شيئاً فعبر عن الله،

= ثم ساق ابن القيم الأدلة البينة الواضحة على رؤية الله عز وجل في الآخرة ثم قال:
قال الطبري: فتحصل في الباب ممن روى عن رسول الله ﷺ من الصحابة حديث الرؤية ثلاث وعشرون نفساً. وطفق يعددهم ثم قال:
وأما التابعون ونُزَّلُ الإسلام وعصابة الإيمان من أئمة الحديث والفقه والتفسير وأئمة التصوف فأقوالهم أكثر من أن يحيط بها إلا الله عز وجل.
ثم ذكر بعض أقوال التابعين وأقوال الأئمة الأربعة ونظرائهم وشيوخهم وأتباعهم ثم قال:
قول جميع أهل الإيمان، قال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتابه: إن المؤمنين لم يختلفوا أن المؤمنين يرون خالقهم يوم المعاد، ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين.
ثم قال: قول جميع أهل اللغة، قال أبو عبد الله بن بطة: سمعت أبا عمر محمد بن عبد الواحد صاحب اللغة يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلباً يقول في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٣، ٤٤] أجمع أهل اللغة على أن اللقاء هاهنا لا يكون إلا معاينة ونظراً بالأبصار، وحسبك بهذا الإسناد صحة.
ثم عقد ابن القيم فصلاً في وعيد منكري الرؤية نعوذ بالله من ذلك، ونسألك اللهم أن تقر أعيننا وتثلج صدورنا برؤياك في جنة النعيم.
انظر: حادي الأرواح (ص٤٠٢ـ٤٧٧).

(١) ذكره في الإبانة (٢/ ١٩٧)، ودرء التعارض (١/ ٣٧٧) (٢/ ٤٠٧).

وخلق صوتاً فأسمع، وزعموا أن الكلام لا يكون إلا من جوف ولسان وشفتين.

فقلنا: هل يجوز لمكون أو غير الله أن يقول: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١١، ١٢]، أو يقول: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١٤] فمن زعم ذلك، فقد زعم أن غير الله ادعى الربوبية، ولو كان كما زعم الجهم أن الله كوّن شيئاً كان يقول ذلك المكون: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [القصص: ٣٠] وقد قال جل ثناؤه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤]. وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وقال: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]. فهذا منصوص القرآن.

فأما ما قالوا: إن الله لا يتكلم، فكيف يصنعون بحديث الأعمش، عن خيثمة عن عدي بن حاتم الطائي: قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ما بينه وبينه ترجمان**»[1].

وأما قولهم: إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان وأدوات. أليس الله قال للسموات والأرض: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت: ١١].

أتراها أنها قالت بجوف وفم وشفتين ولسان وأدوات؟ وقال: ﴿وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

(١) أخرجه البخاري (رقم (٦٥٣٩) ومسلم (رقم ١٠١٦/ ٦٧).

أتراها سبحت بجوف وفم ولسان وشفتين؟ والجوارح إذ شهدت على الكفار. فقالوا: ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فصلت: ٢١].

أتراها أنها نطقت بجوف وفم ولسان؟ ولكن الله أنطقها كيف شاء. وكذلك الله تكلم كيف شاء من غير أن يقول بجوف ولا فم ولا شفتين ولا لسان.

قال أحمد رضي الله عنه: فلما خنقته الحجة قال: إن الله كلم موسى إلا أن كلامه غيره.

فقلنا: وغيره مخلوق؟

قال: نعم.

فقلنا: هذا مثل قولكم الأول، إلا أنكم تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون.

وحديث الزهري قال: لما سمع موسى كلام ربه قال: يا رب هذا الذي سمعته هو كلامك؟ قال: نعم يا موسى هو كلامي، إنما كلمتك على قدر ما يطيق بدنك، ولو كلمتك بأكثر من ذلك لمت.

قال: فلما رجع موسى إلى قومه قالوا له: صف لنا كلام ربك: قال: سبحان الله، وهل أستطيع أن أصفه لكم؟! قالوا: فشبهه. قال: هل سمعتم أصوات الصواعق التي تقبل في أحلى حلاوة سمعتموها، فكأنه مثله[١].

---

(١) إلى هنا انتهى نقل ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (١/ ٣٧٨) ثم قال ابن تيمية: =

وقلنا للجهمية: من القائل يوم القيامة: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦].

أليس الله هو القائل؟

قالوا: فيكوِّن الله شيئاً فيعبِّر عن الله، كما كوَّن شيئاً فعبَّر لموسى.

قلنا: فمن القائل: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾ [الأعراف: ٦، ٧].

أليس الله هو الذي يسأل؟

قالوا: هذا كله إنما يكون شيئاً، فيعبر عن الله.

قلنا: قد أعظمتم على الله الفرية، حين زعمتم أنه لا يتكلم فشبهتموه بالأصنام التي تعبد من دون الله، لأن الأصنام لا تتكلم، ولا تتحرك ولا تزول من مكان إلى مكان.

فلما ظهرت عليه الحجة قال: إن الله قد يتكلم، ولكن كلامه مخلوق.

= فقد ذكر أحمد في هذا الكلام: أن الله تعالى يتكلم كيف شاء، وذكر فيما استشهد به من الأثر: «أن الله كلم موسى عليه السلام بقوة عشرة آلاف لسان» وأن له قوة الألسن كلها، وهو أقوى من ذلك، وأنه إنما كلم موسى على قدر ما يطيق، ولو كلمه بأكثر من ذلك لمات. وهذا بيان منه لكون تكلم الله متعلقاً بمشيئته وقدرته كما ذكر عبد العزيز. وهو خلاف قول من يجعله كالحياة القديمة اللازمة للذات، التي لا تتعلق بمشيئة ولا قدرة. وبيّن أيضاً في كلامه أنه سبحانه تكلم وسيتكلم ردًّا على الجهمية، واستدل على أنه تكلم بالحديث الذي في الصحيحين عن عدي عن النبي ﷺ أنه قال: **«ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه»** وجعل قوله: **«سيكلمه ربه»** دليلاً على أنه سيتكلم، فبين أن التكليم عنده مستلزم للتكليم متضمن للتكلم، ليس هو مجرد خلق إدراك في المستدل.

قلنا: وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق، فقد شبهتم الله بخلقه حين زعمتم أن كلامه مخلوق، ففي مذهبكم قد كان في وقت من الأوقات لا يتكلم حتى خلق الكلام، وكذلك بنو آدم كانوا لا يتكلمون حتى خلق الله لهم كلاماً، وقد جمعتم بين كفر وتشبيه. وتعالى الله عن هذه الصفة، بل نقول: إن الله لم يزل متكلماً إذا شاء ولا نقول: إنه كان ولا يتكلم حتى خلق الكلام. ولا نقول: إنه قد كان لا يعلم حتى خلق علماً فعلم، ولا نقول: إنه قد كان ولا قدرة له حتى خلق لنفسه القدرة، ولا نقول: إنه قد كان ولا نور له حتى خلق لنفسه نوراً، ولا نقول: إنه قد كان ولا عظمة له حتى خلق لنفسه عظمة[1].

---

(١) إلى هنا انتهى نقل ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (١/ ٣٧٨) ثم قال رحمه الله: فقد بين أحمد في هذا الكلام الإنكار على النفاة الذين شبهوه بالجمادات التي لا تتكلم ولا تتحرك ولا تزول من مكان إلى مكان، مثل الأصنام المعبودة من دون الله، والإنكار على من زعم أنه كان في وقت من الأوقات لا يتكلم حتى خلق الكلام، فشبهه بالآدمي الذي كان لا يتكلم حتى خلق الله له كلاماً، فأنكر تشبيهه الجماد الذي لا يتكلم، وبالإنسان الذي كان غير قادر على الكلام حتى خلق الله له الكلام، فكان قادراً على الكلام في وقت دون وقت. وبيّن أن من وصف الله بذلك فقد جمع بين الكفر ـ حيث سلب ربه صفة الكلام، وهي من أعظم صفات الكمال، وجحد ما أخبرت به النصوص ـ وبين التشبيه.
ثم قال ابن تيمية رحمه الله (١/ ٣٨٠):
ومن تدبر كلام أئمة السنة المشاهير في هذا الباب علم أنهم كانوا أدق الناس نظراً، وأعلم الناس في هذا الباب بصحيح المنقول وصريح المعقول، وأن أقوالهم هي الموافقة للمنصوص والمعقول، ولهذا تأتلف ولا تختلف وتتوافق ولا تتناقض، والذين خالفوهم لم يفهموا حقيقة أقوال السلف والأئمة، فلم يعرفوا حقيقة =

فقالت الجهمية: لما وصفنا الله بهذه الصفات إن زعمتم أن الله ونوره، والله وقدرته، والله وعظمته، فقد قلتم بقول النصارى حين زعموا: أن الله لم يزل ونوره. ولم يزل وقدرته.

قلنا: لا نقول: إن الله لم يزل وقدرته، ولم يزل ونوره، ولكن نقول: لم يزل بقدرته ونوره، لا متى قدر، ولا كيف قدر.

فقالوا: لا تكونون موحدين أبداً حتى تقولوا: قد كان الله ولا شيء.

فقلنا: نحن نقول: قد كان الله ولا شيء. ولكن إذا قلنا: إن الله لم يزل بصفاته كلها، أليس إنما نصف إلهاً واحداً بجميع صفاته؟ وضربنا لهم في ذلك مثلاً.

فقلنا: أخبرونا عن هذه النخلة: أليس لها جذع وكَرَب، وليف وسَعَف وخوص وجمَّار؟.. واسمها اسم شيء واحد، وسميت نخلة بجميع صفاتها[1] فكذلك الله، وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد، لا نقول: إنه قد كان في وقت من الأوقات. ولا يقدر حتى خلق له قدرة، والذي ليس له قدرة هو عاجز، ولا نقول: قد كان في وقت من الأوقات ولا يعلم حتى خلق له علماً فعلم. والذي لا يعلم

= المنصوص والمعقول فتشعبت بهم الطرق، وصاروا مختلفين في الكتاب مخالفين للكتاب، وقد قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ١٧٦﴾ [البقرة: ١٧٦].

(١) ذكره ابن بطة في «الإبانة» (٢/ ١٧٥).

هو جاهل. ولكن نقول: لم يزل الله عالماً قادراً، لا متى ولا كيف[١].

وقد سمى الله رجلاً كافراً اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي فقال: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١﴾ وقد كان هذا الذي سماه الله «وحيداً» له عينان وأذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان، وجوارح كثيرة. فقد سماه الله «وحيداً» بجميع صفاته. فكذلك الله، وله المثل الأعلى، هو بجميع صفاته إله واحد[٢].

---

(١) ذكره ابن تيمية في تفسير سورة الإخلاص (ص٣١٧-٣١٨).

(٢) إلى هنا انتهى نقل ابن تيمية في منهاج السنة النبوية (٢/ ٤٨٤- ٤٨٥) وفي درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٤٠٨) وفي بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٦٣- ٤٦٤).

قال ابن تيمية رحمه الله في درء التعارض (٢/ ٤٠٨-٤٠٩):

قلت: فلا يوجد في كلام الله ورسوله واللغة اسم الواحد على ما لا صفة له، فإن ما لا صفة له لا وجود له في الوجود.

وما ذكره أحمد عن الجهمية أنهم يتأولون كلام الله لموسى بأنه خلق من عبّر عنه، تأوله جماعة من أتباعه في هذا، أو في قوله تعالى كل ليلة: «**من يدعوني فأستجيب له**» ولو كان كذلك لكان الملك يقول: إن الله رب العالمين كما في الصحيحين: «**إن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل: إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء**» الحديث.

ثم قال رحمه الله:

أخبر الله تعالى في كتابه بإثبات مفصّل ونفي مجمل. والمعطلة الجهمية متكلمهم ومتفلسفهم أخبروا بإثبات مجمل ونفي مفصل، فأخبر في كتابه بأنه: حي قيوم عليم قدير سميع بصير عزيز حكيم، ونحو ذلك: يرضى ويغضب ويحب ويسخط وخلق واستوى على العرش ونحو ذلك. وقال في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٤] ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم: ٦٥]، فلهذا مذهب السلف والأئمة: إثبات صفاته بلا تمثيل، =

بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش

فقلنا: لِمَ أنكرتم أن يكون الله على العرش، وقد قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾ [طه: ٥]. وقال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤].

= لا ينفون عنه الصفات، ولا يمثلونها بصفات المخلوقين.
وقال رحمه الله في بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٦٤):
فهذا القول الذي ذكره الإمام أحمد عنهم أنهم قالوا: لا تكونون موحدين أبداً حتى تقولوا قد كان الله ولا شيء. هو كلام مجمل ولكن مقصودهم أنه لم يكن موجوداً بشيء يقال: إنه من صفاته، فإن ثبوت الصفات يستلزم عندهم التركيب والتجزئة: إما تركيب المقدار كالتركيب الذي يزعمونه في تأليف الجسم من أجزائه، وإما التركيب الذي يزعمونه في الحدود وهو التركيب من الصفات، كما يقولون: النوع مركب من الجنس والفصل، ويستلزم أيضاً التشبيه، والتوحيد عندهم ففي التشبيه والتجسيم، ويقولون: إن الأول يعنون به عدم النظير. والثاني يعنون به أنه لا ينقسم.
وهم يفسرون الواحد والتوحيد بما ليس هو معنى الواحد والتوحيد في كتاب الله وسنة رسوله، وليس هو التوحيد الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله، وهذا أصل عظيم تجب معرفته.
وقال أيضاً رحمه الله في منهاج السنة النبوية (٢/ ٤٨٥-٤٨٦):
وهذا الذي ذكره الإمام أحمد يتضمن أسرار هذه المسائل، وبيان الفرق بين ما جاءت به الرسل من الإثبات الموافق لصريح العقل، وبين ما تقوله الجهمية وبين أن صفاته داخلة في مسمى أسمائه.

فقالوا: هو تحت الأرض السابعة. كما هو على العرش، فهو على العرش وفي السموات وفي الأرض وفي كل مكان، ولا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكان دون مكان. وتلوا آية من القرآن: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾(١) [الأنعام: ٣].

---

(١) قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى في «أضواء البيان» (٢/ ١٣٩ـ١٤٠):
في هذه الآية الكريمة ثلاثة أوجه للعلماء من التفسير، وكل واحد منها له مصداق في كتاب الله تعالى:
الأول: أن المعنى وهو الله في السموات وفي الأرض، أي وهو الإله المعبود في السماوات وفي الأرض، لأنه جل وعلا هو المعبود وحده بحق في الأرض والسماء، وعلى هذا فجملة: «يعلم» حال أو خبر، وهذا المعنى يبينه ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] أي وهو المعبود في السماء والأرض بحق، ولا عبرة بعبادة الكافرين غيره، لأنها وبال عليهم يخلدون بها في النار الخلود الأبدي، ومعبوداتهم ليست شركاء لله سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [النجم: ٢٣] ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [يونس: ٦٦]. وهذا القول في الآية أظهر الأقوال، واختاره القرطبي.
الوجه الثاني: أن قوله: ﴿في السموات وفي الأرض﴾ يتعلق بقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ﴾ أي وهو الله يعلم سركم في السموات وفي الأرض، ويبين هذا القول ويشهد له قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفرقان: ٦] الآية. قال النحاس: وهذا القول من أحسن ما قيل في الآية، نقله عنه القرطبي.
الوجه الثالث: وهو اختيار ابن جرير: أن الوقف تام على قوله: ﴿في السموات﴾ وقوله: ﴿وفي الأرض﴾ يتعلق بما بعده، أي يعلم سركم وجهركم في الأرض، ومعنى هذا القول: إنه جل وعلا مستو على عرشه فوق جميع خلقه مع أنه يعلم سر أهل الأرض وجهرهم لا يخفى عليه شيء من ذلك.

=

فقلنا: قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظمة الرب شيء. فقالوا: أي مكان؟

فقلنا: أجسامكم وأجوافكم وأجواف الخنازير والحشوش، والأماكن القذرة ليس فيها من عظمة الرب شيء[(١)].

= ويبين هذا القول ويشهد له قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ﴾ [الملك: ١٦، ١٧] الآية، وقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥] مع قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ [الحديد: ٤] وقوله: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾﴾ [الأعراف: ٧].

وسيأتي إن شاء الله تحقيق هذا المعنى بإيضاح في سورة الأعراف.

واعلم أن ما يزعمه الجهمية: من أن الله تعالى في كل مكان. مستدلين بهذه الآية على أنه في الأرض ضلال مبين وجهل بالله تعالى، لأن جميع الأمكنة الموجودة أحقر وأصغر من أن يحل في شيء منها رب السموات والأرض، الذي هو أعظم من كل شيء وأعلى من كل شيء، محيط بكل شيء ولا يحيط به شيء، فالسموات والأرض في يده جل وعلا أصغر من حبة خردل في يد أحدنا، وله المثل الأعلى، فلو كانت حبة خردل في يد رجل فهل يمكن أن يقال: إنه حال فيها أو في كل جزء من أجزائها؟ لا وكلا. هي أصغر وأحقر من ذلك، فإذا علمت ذلك فاعلم أن رب السموات والأرض أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، ولا يحيط به شيء ولا يكون فوقه شيء ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٣﴾﴾ [سبأ: ٣] سبحانه وتعالى علواً كبيراً لا نحصي ثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠].

(١) إلى هنا انتهى نقل ابن تيمية في «بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ٥٣٤) ثم قال رحمه الله: فهذا الذي ذكره الإمام أحمد متضمن إجماع المسلمين، ويتضمن أن ذلك من المعروف في فطرتهم التي فطروا عليها. وقوله: من عظم الرب. كلمة شديدة، فإن اسمه العظيم يدل على العظم الذي هو قدره كما بيناه في غير هذا الموضع. وذكر الحشوش والأجواف، لأن علم المسلمين بذلك ببديهة حسهم وعقلهم، ولأن في ذلك مايجب تنزيه الرب عنه، إذ كان من أعظم كفر النصارى دعواهم ذلك في واحد من =

= البشر، فكيف من يدعيه في البشر كلهم، وكذلك ما ذكره من أجواف الخنازير والحشوش والأماكن القذرة فإن هذا كما تقدم مما يعلم بالضرورة العقلية الفطرية أنه يجب تنزيه الرب وتقديسه أن يكون فيها أو ملاصقاً لها أو مماساً. وتخصيص هذه الأجسام القذرة والأجواف بالذكر فيه اتباع لطريقة القرآن في الأمثال والأقيسة المستعملة في باب صفات الله سبحانه.

فإن الإمام أحمد ونحوه من الأئمة هم في ذلك جارون على المنهج الذي جاء به الكتاب والسنة، وهو المنهج العقلي المستقيم، فيستعملون في هذا الباب قياس الأولى والأحرى والتنبيه في باب النفي والإثبات، فما وجب إثباته للعباد من صفات المدح والحمد والكمال فالرب أولى بذلك، وما وجب تنزيه العباد عنه من النقص والعيب والذم فالرب سبحانه أحق بتنزيهه وتقديسه عن العيوب والنقائص من الخلق، وبهذا جاء القرآن في مثل قوله: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ وفي مثل قوله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ وغير ذلك، فإنه احتج على نفي ما يثبتونه له من الشريك والولد بأنهم ينزهون أنفسهم عن ذلك، لأنه نقص وعيب عندهم، فإذا كانوا لا يرضون بهذا الوصف ومثل السوء فكيف يصفون ربهم به ويجعلون لله مثل السوء، بل ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ ومما يشبه هذا في حقنا قول النبي ﷺ: «**ليس لنا مثل السوء**»، ولهذا شبه الله من ذمه بالحمار تارة وبالكلب أخرى.

ثم قال رحمه الله في (٢/ ٥٣٧):

فسلك الإمام أحمد وغيره مع الاستدلال بالنصوص وبالإجماع مسلك الاستدلال بالفطرة والأقيسة العقلية الصحيحة المتضمنة للأولى، وذلك أن النجاسات مما أمر الشارع باجتنابها والتنزه عنها وتوعد على ذلك بالعقاب، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**تنزهوا عن البول، فإن عامة عذاب القبر منه**» وهذا مما علم بالاضطرار من دين الإسلام، وهي مما فطرت القلوب على كراهتها والنفور عنها واستحسان مجانبتها لكونها خبيثة، فإذا كان العبد المخلوق الموصوف بما شاء الله من النقص والعيب الذي يجب تنزيه الرب عنه، لا يجوز أن يكون حيث تكون النجاسات، ولا أن يباشرها ويلاصقها لغير حاجة، وإذا كان لحاجة يجب تطهيرها، ثم إنه في حال صلاته لربه يجب عليه التطهير، فإذا أوجب الرب على عبده في حال مناجاته أن يتطهر له وينزه عن

وقد أخبرنا أنه في السماء، فقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك: ١٦].

﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ﴾ [الملك: ١٧].

وقال: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

وقال: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء: ١٥٨].

وقال: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٩].

وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾(١) [النحل: ٥٠].

وقال: ﴿ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣﴾ [المعارج: ٣].

وقال: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٨].

= النجاسة كان تنزيه الرب وتقديسه عن النجاسة أعظم وأكثر، للعلم بأن الرب أحق بالتنزيه عن كل ما ينزه عنه غيره.

ثم قال رحمه الله في (٢/ ٥٤١):

وذكر الأئمة في الرد على الجهمية ما علمه المسلمون بضرورة حسهم وعقلهم ودينهم من تنزيهه عن أن يكون في أجوافهم وأحشائهم أيضاً مع ما ذكروه من تنزهه عن الأنجاس، لأن ذلك أقرب إلى حس الإنسان وبديهة عقله، فكلما كان المعلوم مما يحسه الإنسان ويعقله بديهة كان أعلم به، لاسيما مع تكرر إحساسه به وعقله له.

(١) إلى هنا انتهى نقل ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٢٠١ ـ ٢٠٢).

ثم قال رحمه الله:

ذكر هذا الكتاب كله أبو بكر الخلال في كتاب السنة له الذي جمع فيه نصوص أحمد وكلامه، وعلى منواله جمع البيهقي في كتابه الذي سماه: جامع النصوص من كلام الشافعي، وهما كتابان جليلان لا يستغني عنهما عالم.

وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ۝﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فهذا خبر الله، أخبرنا أنه في السماء، ووجدنا كل شيء أسفل منه مذموماً بقول الله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ۝﴾[1] [فصلت: ٢٩].

---

(١) إلى هنا انتهى نقل ابن تيمية رحمه الله في «بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ٥٤٢ـ٥٤٣).
ثم قال:
وهذه الحجة من باب «قياس الأولى» وهو أن السفل مذموم في المخلوق، حيث جعل الله أعداءه في أسفل السافلين، وذلك مستقر في فطر العباد، حتى إن أتباع المضلين طلبوا أن يجعلوهم تحت أقدامهم ليكونوا من الأسفلين، وإذا كان هذا مما ينزه عنه المخلوق ويوصف به المذموم المعيب به المخلوق فالرب تعالى أحق أن ينزه ويقدس عن أن يكون في السفل أو يكون موصوفاً بالسفل، هو أو شيء منه، أو يدخل ذلك في صفاته بوجه من الوجوه، بل هو العلي الأعلى بكل وجه، ولهذا يروى عن بشر المريسي أنه كان يقول في سجوده: سبحان ربي الأسفل. وكذلك بلغني عن طائفة من أهل زماننا أن منهم من يقول: إن يونس عرج به إلى بطن الحوت، كما عرج بمحمد إلى السماء. وأنه قال: «**لا تفضلوني على يونس**» وأراد هذا المعنى، وقد بينا كذب هذا الحديث وبطلان التفسير في غير هذا الموضع. ا. هـ.
قال محشيه رحمه الله: فضيلة الشيخ محمد بن عبد الرحمن القاسم: انظر ج٢ ص٢٢٣ـ٢٢٤ من مجموع فتاويه.
وقال ابن بطة في «الإبانة» (٣/ ١٤٢ـ١٤٣):
ثم ذم ربنا تعالى ما سفل ومدح ما علا فقال: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝﴾ [المطففين: ١٨] يعني السماء السابعة، والله تعالى فيها. وقال: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝﴾ [المطففين: ٧] يعني الأرض السفلى، فزعم الجهمي الحلولي أن الله هناك حيث يكون كتاب الفجار الذي ذمه الله وسفله، تعالى الله عما يزعم هؤلاء علوا. وقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] فذم الأسفل. وقال: =

وقلنا لهم: أليس تعلمون أن إبليس [مكانه مكان، ومكان الشياطين مكانهم مكان][١] فلم يكن الله ليجتمع هو وإبليس في مكان واحد[٢].

وإنما معنى قول الله جل ثناؤه: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾

= ﴿ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ۝٢٩ ﴾ [فصلت: ٢٩].

(١) ما بين المعكوفين في نسخة الدكتور عميرة ونسخة الشيخ الأنصاري: «أن إبليس كان مكانه والشياطين مكانهم» والمثبت من بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٢/ ٥٤٤).

(٢) قال ابن تيمية رحمه الله في «بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ٥٤٤):
هذا التنزيه عن مجامعة الخبيث والنجس من الأحياء نظير التنزيه عن مجامعة الخبيث النجس من الجمادات، ولهذا نهي عن الصلاة في المواطن التي تسكنها الشياطين كالحمام والحش وأعطان الإبل ونحو ذلك، وإن كان المكان ليس فيه من النجاسات الجامدة شيء، بل أرواث الإبل طاهرة، بل قد ثبت عن النبي ﷺ في الصحيح من غير وجه أنه ذكر أن الكلب يقطع الصلاة، وخصه في الحديث الصحيح بالأسود، وقال: «**إنه شيطان**». لما سئل عن الفرق بين الأحمر والأبيض والأسود، فقال: «**الأسود شيطان**». . . .
وقد ذكر شيخ الإسلام أن شيطان الجن يقطع الصلاة وأنه ملعون رجيم، وأن الشياطين ترجم بالشهب لئلا تسترق السمع وأمر سبحانه عباده بالاستعاذة من الشيطان.
ثم قال رحمه الله في (٢/ ٥٤٥):
فإذا كان ملعوناً مبعداً مطروداً عن أن يجتمع بملائكة الله أو يسمع منهم ما يتكلمون به من الوحي، فمن المعلوم أن بعده عن الله أعظم وتنزه الله وتقدسه عن قرب الشياطين، فإذا كان كثير من الأمكنة مملوءاً، وكان تعالى في كل مكان كان الشياطين قريبين منه غير مبعدين عنه ولا مطرودين، بل كانوا متمكنين من سمع كلامه منه دع الملائكة، وهذا يعلم بالاضطرار وجوب تنزه الله وتقديسه عنه أعظم من تنزيه الملائكة والأنبياء والصالحين وكلامه الذي يبلغه هؤلاء ومواضع عباداته، فإن نفسه أحق بالتنزيه والتقديس عن جميع هذه الأعيان المخلوقة ومن كلامه الذي يتلوه هؤلاء.

[الأنعام: ٣].

يقول: هو إله من في السموات وإله من في الأرض، وهو على العرش، وقد أحاط علمه بما دون العرش، ولا يخلو من علم الله مكان، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان، فذلك قوله: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢]، ومن الاعتبار في ذلك، لو أن رجلاً كان في يديه قدح من قوارير صاف وفيه شراب صاف، كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح، فالله وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع خلقه، من غير أن يكون في شيء من خلقه[1].

وخصلة أخرى: لو أن رجلاً بنى داراً بجميع مرافقها، ثم أغلق بابها وخرج منها، كان ابن آدم لا يخفى عليه كم بيت في داره، وكم سعة كل بيت من غير أن يكون صاحب الدار في جوف الدار. فالله وله

---

(١) قال ابن تيمية رحمه الله في «بيان تلبيس الجهمية» (٢/٥٤٦):
قلت: وقد تقدم أن كل ما يثبت من صفات الكمال للخلق فالخالق أحق به وأولى. فضرب أحمد رحمه الله مثلاً وذكر قياساً وهو أن العبد إذا أمكنه أن يحيط بصره بما في يده وقبضته من غير أن يكون داخلاً فيه ولا محايثاً له فالله سبحانه أولى باستحقاق ذلك واتصافه به، وأحق بأن لا يكون ذلك ممتنعاً في حقه، وذكر أحمد في ضمن هذا القياس قول الله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ مطابق لما ذكرناه من أن الله له قياس الأولى والأحرى بالمثل الأعلى، إذ القياس الأولى والأحرى هو من المثل الأعلى. وأما المثل المساوي أو الناقص فليس لله بحال. ففي هذا الكلام الذي ذكره، واستدلاله بهذه الآية تحقيق لما قدمناه من أن الأقيسة في باب صفات الله، وهي أقيسة الأولى كما ذكره من هذا القياس، فإن العبد إذا كان هذا الكمال ثابتاً له فالله الذي له المثل الأعلى أحق بذلك.

المثل الأعلى قد أحاط بجميع خلقه، وعلم كيف هو، وما هو، من غير أن يكون في شيء مما خلق(١).

---

(١) قال ابن تيمية رحمه الله في «بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ٥٤٧):
وهذا أيضاً قياس عقلي من قياس الأولى قرر به إمكان العلم بدون المخالطة، فذكر أن العبد إذا فعل مصنوعاً كدار بناها فإنه يعلم مقدارها وعدد بيوتها مع كونه ليس هو فيها لكونه هو بناها، فالله الذي خلق كل شيء أليس هو أحق بأن يعلم مخلوقاته ومقاديرها وصفاتها وإن لم يكن فيها محايثا لها، وهذا من أبين الأدلة العقلية، وهذان القياسان: أحدهما: لإحاطته بخلقه، إذ الخلق جميعاً في قبضته وهو محيط بهم ببصره. والثاني: لعلمه بهم، لأنه هو الخالق كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝١٤﴾.
* وقال ابن بطة في «الإبانة» (٣/ ١٣٦):
باب الإيمان بأن الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه وعلمه محيط بجميع خلقه.
وأجمع المسلمون من الصحابة والتابعين وجميع أهل العلم من المؤمنين أن الله تبارك وتعالى على عرشه فوق سماواته بائن من خلقه، وعلمه محيط بجميع خلقه لا يأبى ذلك، ولا ينكره إلا من انتحل مذاهب الحلولية، وهم قوم زاغت قلوبهم واستهوتهم الشياطين فمرقوا من الدين. وقالوا: إن الله ذاته لا يخلو منه مكان. فقالوا: إنه في الأرض كما هو في السماء، وهو بذاته حال في جميع الأشياء، وقد أكذبهم القرآن والسنة وأقاويل الصحابة والتابعين من علماء المسلمين. فقيل للحلولية: لِمَ أنكرتم أن يكون الله تعالى على العرش؟ وقال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] وقال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ۝٥٩﴾ [الفرقان: ٥٩] فهذا خبر الله أخبر به عن نفسه وأنه على العرش.
فقالوا: لا نقول إنه على العرش لأنه أعظم من العرش، ولأنه إذا كان على العرش فإنه يخلو منه أماكن كثيرة، فنكون قد شبهناه بخلقه، إذا كان أحدهم في منزله فإنما يكون في الموضع الذي هو فيه، ويخلو منه سائر داره، ولكنا نقول: إنه تحت الأرض السابعة كما هو فوق السماء السابعة، وأنه في كل مكان لا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكان دون مكان.
قلنا: أما قولكم: إنه لا يكون على العرش لأنه أعظم من العرش، فقد شاء الله أن يكون =

= على العرش، وهو أعظم منه. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [فصلت: ١١] وقال: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الأنعام: ٣] ثم قال: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ﴾ فأخبر أنه في السماء وأنه بعلمه في الأرض. وقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] وقال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]، وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] فهل يكون الصعود إلا إلى ما علا. وقال: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ فأخبر أنه أعلى من خلقه. وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] فأخبر أنه فوق الملائكة وقد أخبرنا الله تعالى أنه في السماء على العرش، فقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ۝١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك: ١٦]، وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] وقال لعيسى: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] وقال: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩] وقال: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ﴾ [الأنعام: ١٨] وقال: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥]، وقال عز وجل: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥] وقال: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ﴾ [المعارج: ٤].

فهذا ومثله في القرآن كثير، ولكن الجهمي المعتزلي الحلولي الملعون يتصامم عن هذا وينكره، فيتعلق بالمتشابه ابتغاء الفتنة لما في قلبه من الزيغ. لأن المسلمين كلهم قد عرفوا أماكن كثيرة، ولا يجوز أن يكون فيها من ربهم إلا علمه وعظمته وقدرته. وذاته تعالى ليس هو فيها، فهل زعم الجهمي أن مكان إبليس الذي هو فيه يجتمع الله تعالى وهو فيه؟

بل يزعم الجهمي أن ذات الله تعالى حالة في إبليس؟ وهل يزعم أن أهل النار في النار وأن الجليل العظيم العزيز الكريم معهم فيها؟! تعالى الله عما يقوله أهل الزيغ والإلحاد علواً كبيراً.

وهل يزعمون أنه يحل أجواف العباد وأجسادهم وأجواف الكلاب والخنازير والحشوش والأماكن القذرة، التي يربأ النظيف الطريف من المخلوقين أن يسكنها أو يجلس فيها، أو قال له: إن أحداً ممن يكرمه ويحبه ويعظمه يحل فيها وبها.

= والمعتزلي يزعم أن ربه في هذه الأماكن كلها، ويزعم أنه في كمه وفي فمه وفي جيبه وفي جسده، وفي كوزه وفي قدره وفي ظروفه وآنيته، وفي الأماكن التي نجل الله تبارك وتعالى أن ننسبه إليها.

قال ابن تيمية رحمه الله في مجموع فتاويه (٥/ ١٢١):

قد وصف الله تعالى نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بالعلو والاستواء على العرش والفوقية في كتابه في آيات كثيرة، حتى قال بعض أكابر أصحاب الشافعي: في القرآن ألف دليل أو أزيد تدل على أن الله تعالى عال على الخلق وأنه فوق عباده.

وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أقوال عدد غير قليل من الأئمة في إثبات العلو لله عز وجل وأنه فوق العرش استوى منهم ابن كلاب والأشعري والباقلاني والقاضي أبي يعلى وابن رشد وأبي نصر السجزي وأبي عمر الطلمنكي ونصر المقدسي وأبي نعيم الأصبهاني وأبي أحمد الكرخي وابن عبد البر ومعمر بن أحمد الأصبهاني وابن أبي حاتم وأبي محمد المقدسي وأبي عبد الله القرطبي وأبي بكر النقاش وأبي كبر الخلال وعبد الله بن أحمد وأبي بكر البيهقي وأبي حنيفة وعبد الله بن المبارك وابن خزيمة وربيعة بن أبي عبد الرحمن ومالك بن أنس وغيرهم.

* وقال ابن القيم رحمه الله في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٩٦) إثبات استواء الله على عرشه بالكتاب:

قال شيخ الإسلام: وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسوله ﷺ وعامة كلام الصحابة والتابعين وكلام سائر الأئمة مملوء بما هو نص أو ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى فوق كل شيء، وأنه فوق العرش فوق السموات مستوٍ على عرشه، مثل قوله تعالى. . . وذكر آيات من كتاب الله، سبق أن ذكرناها في كلام ابن بطة في «الإبانة» ثم ذكر ابن القيم أدلة إثبات استواء الله على عرشه من السنة.

فذكر قصة المعراج وتجاوز الرسول ﷺ السموات سماء سماء، حتى انتهى إلى ربه تعالى فقربه وأدناه. وذكر حديث: «**لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي**» وفي لفظ: «**فهو مكتوب عنده فوق العرش**».

وحديث: «**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه ويرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت**

= **سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»**.
وحديث: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ـ وهو أعلم بهم ـ فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون**» وعندما حكم سعد بن معاذ في بني قريظة قال له الرسول ﷺ: «**لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة**» وفي لفظ: «**من فوق سبع سموات**» ولما قسم النبي ﷺ قطعة الذهب بين أربعة قال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً**» وحديث الجارية عندما سألها رسول الله ﷺ: «**أين الله؟**» قالت: في السماء. قال: «**فمن أنا؟**» قالت: أنت رسول الله. قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**». وحديث زينب بنت جحش عندما كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ فتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سموات. وحديث: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**» وحديث: «**ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها**» وحديث: «**إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً ليس فيهما شيء**». وحديث: «**إن لله ملائكة سيارة فضلا يتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلس ذكر جلسوا معهم فإذا تفرقوا صعدوا إلى ربهم**» وفي رواية مسلم: «**فإذا تفرقوا صعدوا إلى السماء، فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم: من أين جئتم؟**». وحديث: «**كان الله عز وجل على العرش وكان قبل كل شيء، وكتب في اللوح المحفوظ كل شيء يكون**». وحديث: «**لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه**» إلى غير ذلك من الأحاديث التي ذكرها ابن القيم رحمه الله ثم نقل من كلام أصحاب النبي ﷺ والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم الكثير، نحيل القارىء الكريم على مراجعة هذه النقول في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص١١٨ـ٣٣١) حيث إنه استشهد بكلام الإمام أحمد المذكور هنا في الرد على الجهمية، ذكره ابن القيم في اجتماع الجيوش (ص٢٠٠ـ٢٠٨).
وانظر: الشريعة للآجري (٣/ ١٠٨١ـ١١٠٦).

بيان ما تأولت الجهمية من قول الله:

﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾

قالوا: إن الله معنا وفينا. فقلنا: الله جل ثناؤه يقول: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [المجادلة: ٧].

ثم قال: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة: ٧] يعني الله بعلمه، ﴿ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ ﴾، يعني الله بعلمه ﴿ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ ﴾ يعني بعلمه فيهم ﴿ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ ﴾ يفتح الخبر بعلمه، ويختم الخبر بعلمه[1].

ويقال للجهمي: إن الله إذا كان معنا بعظمة نفسه فقل له: هل يغفر الله لكم فيما بينه وبين خلقه؟

---

(١) قال ابن بطة في «الإبانة» (٣/ ١٤٤-١٤٥):
واحتج الجهمي بقول الله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا ﴾ [المجادلة: ٧]. فقالوا: إن الله معنا وفينا، واحتجوا بقوله: ﴿ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾ ﴾ [فصلت: ٥٤]، وقد فسر العلماء هذه الآية ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ ﴾ إنما عني بذلك: علمه، ألا ترى أنه قال في أول الآية: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ فرجعت الهاء والواو من هو على علمه لا على ذاته.
ثم قال في آخر الآية: ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ فعاد الوصف على العلم، وبين أنه إنما أراد بذلك العلم، وأنه عليم بأمورهم كلها.

فإن قال: نعم فقد زعم أن الله بائن من خلقه دونه، وإن قال: لا. كفر[١].

وإذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أن الله في كل مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، فقل: أليس الله كان ولا شيء؟

فيقول: نعم.

فقل له: حين خلق الشي خلقه في نفسه أو خارجاً من نفسه؟ فإنه يصير إلى ثلاثة أقوال، لابد له من واحد منها.

إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه كفر، حين زعم أن الجن والإنس والشياطين في نفسه[٢].

---

(١) إلى هنا انتهى نقل ابن تيمية في «بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ٥٤٨) ثم قال رحمه الله:
وذلك أن من أثبت أن شيئاً بين الله وبين خلقه فقد جعله مبايناً، فإن المباينة والبين من اشتقاق واحد، وإذا كان شيء بين شيئين فالثلاثة مباينة بعضها عن بعض، وهذا الوسط من هذا، وهو ما بينه وبين هذا هو مباينته، ومباين المباينين أولى أن يكون مبايناً.

(٢) قال ابن بطة في «الإبانة» (٣/ ١٤٠ـ١٤٢):
ويقال للجهمي: أليس قد كان الله ولا خلق؟ فيقول: نعم. فيقال له: فحين خلق الخلق أين خلقهم؟ ـ وقد زعمت أنه لا يخلو منه مكان ـ أخلقهم في نفسه أو خارجاً عن نفسه؟ فعندها يتبين لك كفر الجهمي، وأنه لا حيلة له في الجواب. لأنه إن قال: خلق الخلق في نفسه. كفر وزعم أن الله خلق الجن والإنس والأبالسة والشياطين والقردة والخنازير والأقذار والأنتان في نفسه، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً.
وإن زعم أنه خلقهم خارجاً عن نفسه فقد اعترف أن هاهنا أمكنة قد خلت منه.
ويقال للجهمي في قوله: إن الله في كل مكان: أخبرنا هل تطلع عليه الشمس إذا طلعت؟ وهل يصيبه الريح والثلج والبرد؟ ولو أن رجلاً أراد أن يبني بناءً أو يحفر بئراً أو يلقي قذراً لكان إنما يلقي ذلك ويضعه في ربه. فجل ربنا وتعالى عما يصفه به =

إن قال: خلقهم خارجاً من نفسه ثم دخل فيهم، كان هذا كفراً أيضاً [حين زعم أنه دخل في كل مكان وحشٍّ قذر رديء. وإن قال: خلقهم خارجاً عن نفسه، ثم لم يدخل فيهم. رجع عن قوله كله أجمع، وهو قول أهل السنة](١)،(٢).

= الملحدون وينسبه إليه الزائغون.
لكنا نقول: إن ربنا تعالى في أرفع الأماكن وأعلى عليين، قد استوى على عرشه فوق سماواته وعلمه محيط بجميع خلقه، يعلم ما نأى كما يعلم ما دنى، ويعلم ما بطن كما يعلم ما ظهر، كما وصف نفسه تعالى، فقال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].
فقد أحاط علمه بجميع ما خلق في السموات العلى وما في الأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى، يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويعلم الخطرة والهمة، ويعلم جميع ما توسوس النفوس به، يسمع ويرى وهو بالنظر الأعلى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرضين إلا وقد أحاط علمه به وهو على عرشه سبحانه العلي الأعلى. ترفع إليه أعمال العباد وهو أعلم بها من الملائكة الذين شاهدوها وكتبوها ورفعوا إليه بالليل والنهار، فجل ربنا وتعالى عما ينسبه إليه الجاحدون ويشبهه به الملحدون.

(١) ما بين المعكوفين سقط من نسخة د/ عميرة واستدركته من نسخة الشيخ الأنصاري، ومن درء تعارض العقل والنقل (٣/ ١٧٦) ومن بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥٤٩) ثم تبين لي أن هذا السقط وُجد بعد قوله الآتي: فأين يكون ربنا؟ فقال: يكون في كل شيء.

(٢) إلى هنا انتهى نقل ابن تيمية في «درء تعارض العقل والنقل» (٣/ ١٧٦) و«بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ٥٤٩) ثم قال رحمه الله في بيان التلبيس:
وهذه الحجة التي ذكرها أحمد مبناها على أنه يخلو عن المباينة للخلق المحايثة لهم.
وهذا كما أنه معلوم بالفطرة العقلية الضرورية كما تقدم، فإن الجهمية كثيراً مما يضطرون إلى تسليم ذلك كقوله: إنه في كل مكان. ولأن الخروج عن هذين القسمين مما تنكره قلوبهم بفطرتهم ومما ينكره الناس عليهم.
=

إذا أردت أن تعلم أن الجهمي لا يقر بعلم الله فقل له: الله يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦].

وقال: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ١٤].

وقال: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٧].

فيقال له: تقر بعلم الله هذا الذي أوقفك عليه بالأعلام والدلالات أم لا؟.. فإن قال: ليس له علم، كفر.

وإن قال: لله علم محدث كفر، حين زعم أن الله قد كان في وقت من الأوقات لا يعلم حتى أحدث له علماً فعلم.

فإن قال: لله علم وليس مخلوقاً ولا محدثاً، رجع عن قوله كله، وقال بقول أهل السنّة][1].

= وقال رحمه الله في درء التعارض:

فقد بيّن الإمام أحمد ما هو معلوم بصريح العقل وبديهته، من أنه لابد إذا خلق الخلق من أن يخلقه مباينا له أو محايثاً له، ومع المحايثة: إما أن يكون هو في العالم، وإما أن يكون العالم فيه، لأنه سبحانه قائم بنفسه، والقائم بنفسه إذا كان محايثا لغيره فلابد أن يكون أحدهما حالاً في الآخر بخلاف ما لا يقوم بنفسه كالصفات، فإنها قد تكون جميعاً قائمة بغيرها.

وانظر كذلك مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/ ٣١٢-٣١٣).

(١) من قوله رحمه الله: حين زعم أنه دخل في كل مكان وحشٍّ قذر رديء. إلى هنا انتقل موضعه في الفصل التالي «بيان ما ذكر الله في القرآن ﴿وهو معكم﴾ من نسخة الدكتور عميرة ولا أدري كيف وجد هذا النقل في هذا الموضع ولعله حدث نتيجة تقدم صفحة على صفحة من المخطوط؟!

بيان ما ذكر الله في القرآن «وهو معكم»

وهذا على وجوه:

قال الله جل ثناؤه لموسى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ [طه: ٤٦].

يقول: في الدفع عنكما.

وقال: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

يقول: في الدفع عنا.

وقال: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة: ٢٤٩].

يقول: في النصر لهم على عدوهم.

وقال: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

في النصر لكم على عدوكم.

وقال: ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٨].

يقول بعلمه فيهم.

وقال: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾[1] [الشعراء: ٦١، ٦٢].

---

(١) إن الآيات السابقة التي تدل على معية الرب تبارك وتعالى مع بعض المخلوقين يوهم =

يقول: في العون على فرعون[١].

فلما ظهرت الحجة على الجهمي بما ادعى على الله أنه مع خلقه قال: هو في كل شيء غير مماس لشيء ولا مباين منه.

فقلنا: إذا كان غير مباين أليس هو مماساً؟[٢].

= ظاهرها أن هناك اضطراباً مع قوله سبحانه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ وغيرهما من الآيات التي تثبت أن الرب سبحانه وتعالى مستوٍ على عرشه بائن من خلقه، وأجاب على هذا الإشكال فضيلة الشيخ الشنقيطي رحمه الله في كتاب «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» (ص١٩١) فقال:
قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤] يدل على أنه تعالى مستوٍ على عرشه عالٍ على جميع خلقه، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] يوهم خلاف ذلك.

والجواب: أنه تعالى مستوٍ على عرشه كما قال بلا كيف ولا تشبيه، استواءً لائقاً بكماله وجلاله، وجميع الخلائق في يده أصغر من حبة خردل فهو مع جميعهم بالإحاطة الكاملة والعلم التام ونفوذ القدرة سبحانه وتعالى علواً كبيراً، فلا منافاة بين علوه على عرشه ومعيته لجميع الخلائق.

ألا ترى ـ ولله المثل الأعلى ـ أن أحدنا لو جعل في يده حبة من خردل أنه ليس داخلاً في شيء من أجزاء تلك الحبة، مع أنه محيط بجميع أجزائها ومع جميع أجزائها والسموات والأرض ومن فيهما في يده أصغر من حبة خردل في يد أحدنا، وله المثل الأعلى سبحانه وتعالى علواً كبيراً، فهو أقرب إلى الواحد منا من عنق راحلته، بل من حبل وريده، مع أنه مستوٍ على عرشه، لا يخفى عليه شيء من عمل خلقه جل وعلا.

(١) في نسخة د/ عميرة: قريش. والتصويب من نسخة الشيخ الأنصاري ودرء تعارض العقل والنقل (٣/ ١٧٨) وبيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥٥١) واجتماع الجيوش الإسلامية (ص٢٠٥).

(٢) قال ابن تيمية رحمه الله في «بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ٥٥٣):
وأحمد رحمه الله ذكر ما يعلم بضرورة العقل من أنه إذا كان فيه وليس بمباين فإنه لابد =

قال: لا. قلنا: فكيف يكون في كل شيء غير مماس لشيء ولا مباين؟ فلم يحسن الجواب.

فقال: بلا كيف. فيخدع جهال الناس بهذه الكلمة وموَّه عليهم[1].

فقلنا: أليس إذا كان يوم القيامة، أليس إنما هو في الجنة والنار والعرش والهواء[2]؟

= أن يكون مماساً له، فإنه لا يعقل كون الشيء في الشيء إلا مماساً له أو مبايناً له، فإنه لما كان خطابه مع الجهمية الذين يقولون إنه في كل مكان ذكر أنه لابد من المماسة أو المباينة على هذا التقدير، وهو تقدير المحايثة، فإن أولئك لم يكونوا ينكرون دخوله في العالم، وإنما ينكرون خروجه.

(١) قال ابن تيمية في «بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ٥٥٣):
فبين أحمد أن هذه الكلمة إنما يقبلها الجهال فينخدعون بها، لأنهم يعتقدون أن ما ذكره هذا ممكن، وإن لم نعلم نحن كيفيته، وإنما كانوا جهالاً لأنهم خالفوا العقل والشرع، وقبلوا ما لا يقبله العقل، واعتقدوا هذا من جنس ما أخبر به الشارع من الصفات التي لا نعلم نحن كيفيتها.

(٢) قال ابن تيمية رحمه الله في «بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ٥٥٧):
ثم ذكر أحمد الحجة الثانية فقال: قلنا لهم: إذا كان يوم القيامة أليس إنما الجنة أو النار والعرش والهواء. إلى آخره. فبين أن موجب قولهم أن يكون بعضه على العرش، وبعضه في الجنة، وبعضه في النار، وبعضه في الهواء، لأن هذه هي الأمكنة التي ادعوا أن الله فيها فيتبعض ويتجزأ بتبعض الأمكنة وتجزيها، وذكر أنه عند ذلك تبين للناس كذبهم على الله، لأن الناس في الدنيا آمنوا بالغيب وبأمور أخرى لم يروها في الدنيا وسوف يرونها في الآخرة، فإذا ظهر لهم أن هؤلاء يقولون إنه يكون في الآخرة، كما كان في الدنيا متفرقاً متجزءًا لم يمكن أن يراه أحد، ولا أن يحايث أحداً، ولا أن يختص أولياؤه بالقرب منه دون أعدائه، بل يكون في النار مع أعدائه، كما هو في الجنة مع أوليائه، فظهر بذلك من كذبهم على الله ما لم يظهر بما ذكروه في أمر الدنيا.

قال: بلى. فقلنا: فأين يكون ربنا؟

فقال: يكون في كل شيء. كما كان حين في الدنيا في كل شيء.

فقلنا: فإن مذهبكم إن ما كان من الله على العرش فهو على العرش، وما كان من الله في الجنة فهو في الجنة، وما كان من الله في النار فهو في النار، وما كان من الله في الهواء فهو في الهواء.

فعند ذلك تبين كذبهم على الله جل ثناؤه[1].

---

(١) إلى هنا انتهى نقل ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥٥١_٥٥٢) وفي درء تعارض العقل والنقل (٣/ ١٧٧_١٧٨) فقال رحمه الله في بيان التلبيس:
فذكر الإمام أحمد بعد تفسير المعية التي احتجوا بها من جهة السمع حجتين عقليتين، فذكر قول الجهمية أنه في كل شيء غير مماس للأشياء، ولا مباين لها، وهذا قول الجهمية الذين ينفون مباينته، ثم يبقون مع ذلك مماسته، فيقولون هو في كل مكان، والصنف الآخر كالمؤسس ينفون مباينته الحقيقية، وإن قالوا إنهم يثبتون مباينته بالحقيقة الزمان، فإن أولئك أيضاً وإن نفوا المباينة فإنهم يثبتونها بالحقيقة والزمان، فكلا الطائفتين يقولون: إنهم يثبتون مباينته لكن ينفون أن يكون خارج العالم.
وكل من الصنفين خصم للآخر فيما يوافقه عليه الجماعة، فالأولون يقولون كما تقول الجماعة: إنه إذا لم يكن مبايناً للعالم بغير الحقيقة والزمان كان محايثاً له خلافاً للطائفة الأخرى، ثم يقول بما تقول به الأخرى: وليس بمباين للعالم بغير الحقيقة والزمان، فيلزم أن يكون محايثاً له. والآخرون يقولون إذا كان محايثاً للعالم كان مماساً له، كما تقول الجماعة خلافاً لتلك الطائفة، ثم يقولون مع الجماعة: وليس بمماس للعالم، فيلزم أن لا يكون فيه ولا مبايناً له بغير الحقيقة والزمان، فلا يكون خارجاً عنه.
وقال رحمه الله في درء التعارض:
فكان الإمام أحمد وغيره من الأئمة يبينون فساد قول الجهمية، سواء قالوا: إنه في كل مكان أو قالوا: لا داخل العالم ولا خارجه، أو قالوا: إنه في العالم أو خارج العالم، إذ جماع قولهم: إنه ليس مبايناً للعالم مختصاً بما فوق العالم.

=

وزعمت الجهمية أن الله جل ثناؤه في القرآن إنما هو اسم مخلوق، فقلنا: قبل أن يخلق هذا الاسم، ما كان اسمه؟

قالوا: لم يكن له اسم(١).

فقلنا: وكذلك قبل أن يخلق العلم أكان جاهلاً لا يعلم حتى يخلق لنفسه علماً(٢). وكان لا نور له حتى يخلق لنفسه نوراً. وكان ولا قدرة له حتى يخلق لنفسه قدرة؟

= ثم هم مع هذا مضطربون يقولون هذه تارة وهذه تارة، ولا يمكن بعض طوائفهم أن يفسد مقالة الأخرى لاشتراكهم في الأصل الفاسد.

(١) قال الخلال في كتاب «السنة» (٥/ ١٣٨):
قال أبو عبد الله: فالقرآن من علم الله ألا تراه يقول: ﴿ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ والقرآن فيه أسماء الله عز وجل، أي شيء تقولون؟ ألا يقولون إن أسماء الله عز وجل غير مخلوقة؟ من زعم أن أسماء الله عز وجل مخلوقة فقد كفر، لم يزل الله عز وجل قديراً عليماً عزيزاً حكيماً سميعاً بصيراً، لسنا نشك أن أسماء الله ليست بمخلوقة ولسنا نشك أن علم الله تبارك وتعالى ليس بمخلوق، وهو كلام الله عز وجل، ولم يزل الله عز وجل حكيماً.
ثم قال أبو عبد الله: وأي كفر أبين من هذا؟! وأي كفر أكفر من هذا؟! فإذا زعموا أن القرآن مخلوق فقد زعموا أن أسماء الله مخلوقة وأن علم الله مخلوق، ولكن الناس يتهاونون بهذا ويقولون: إنما يقولون القرآن مخلوق، فيتهاونون ويظنون أنه هين ولا يدرون ما فيه من الكفر.

(٢) قال الخلال في «السنة» (٦/ ٢٩):
أخبرني أبو النضر إسماعيل بن عبد الله بن ميمون العجلي قال: سمعت أبا عبد الله يقول: من قال إن أسماء الله عز وجل مخلوقة، وإن علمه مخلوق فهو كافر.
أخبرني محمد بن أبي هارون ومحمد بن حعفر أن أبا الحارث حدثهم قال: سمعت أبا عبد الله يقول: القرآن كلام الله ليس بمخلوق، ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر، لأنه يزعم أن علم الله مخلوق، وأنه لم يكن له علم حتى خلقه.

فعلم الخبيث أن الله قد فضحه، وأبدى عورته حين زعم أن الله جل ثناؤه في القرآن إنما هو اسم مخلوق.

وقلنا للجهمية: لو أن رجلاً حلف بالله الذي لا إله إلا هو كاذباً كان لا يحنث، لأنه حلف بشيء مخلوق ولم يحلف بالخالق، ففضحه الله في هذه.

وقلنا له: أليس النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والخلفاء من بعدهم، والحكام والقضاة، إنما كانوا يحلِّفون الناس بالله الذي لا إله إلا هو؟ فكانوا في مذهبهم مخطئين، إنما كان ينبغي للنبي عليه السلام، ولمن بعده في مذهبكم أن يحلفوا بالذي اسمه الله، وإذا أرادوا أن يقولوا: لا إله إلا الله. يقولون: لا إله إلا الذي خلق الله، وإلا لم يصح توحيدهم، ففضحه الله بما ادعى من الكذب على الله.

ولكن نقول: إن الله هو الله، وليس الله باسم: إنما الأسماء شيء سوى الله[1]، لأن الله إن لم يتكلم فبأي شيء خلق الخلق؟

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٦/ ١٨٥ـ١٨٧):
اختلف في الاسم والمسمى: هل هو هو أو غيره أو لا يقال: هو هو، ولا يقال: هو غيره أو هو له؟ أو يفصل في ذلك؟ فإن الناس قد تنازعوا في ذلك والنزاع اشتهر في ذلك بعد الأئمة بعد أحمد وغيره، والذي كان معروفاً عند أئمة السنة أحمد وغيره الإنكار على الجهمية الذين يقولون: أسماء الله مخلوقة. فيقولون: الاسم غير المسمى. وأسماء الله غيره، وما كان غيره فهو مخلوق، وهؤلاء هم الذين ذمهم السلف وغلظوا فيهم القول، لأن أسماء الله من كلامه، وكلامه غير مخلوق، بل هو المتكلم به، وهو المسمى لنفسه بما فيه من الأسماء.
والجهمية يقولون: كلامه مخلوق وأسماؤه مخلوقة وهو نفسه لم يتكلم بكلام يقوم بذاته ولا سمى نفسه باسم هو المتكلم به. بل قد يقولون: إنه تكلم به وسمى نفسه بهذه =

قالوا: أموجود عن الله أنه خلق الخلق بقوله وبكلامه؟ وحين قال: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل: ٤٠].

فقالوا: إنما معنى: ﴿ قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ ﴾ يكون. قلنا: فلم أخفيتم أن يقول له، فقالوا: إنما معنى كل شيء في القرآن معانيه، وقال الله مثل قول العرب: قال الحائط، وقالت النخلة فسقطت، فالجهمية لا يقولون بشيء، فقلنا: على هذا أفتيتم؟ قالوا: نعم.

فقلنا: فبأي شيء خلق الخلق إن كان الله في مذهبكم لا يتكلم؟

فقالوا: بقدرته. فقلنا: هي شيء؟ قالوا: نعم، فقلنا: قدرته مع

= الأسماء بمعنى أنه خلقها في غيره لا بمعنى أنه نفسه تكلم بها الكلام القائم به. فالقول في أسمائه هو نوع من القول في كلامه...

ثم قال رحمه الله:

والمقصود هنا أن المعروف عن أئمة السنة إنكارهم على من قال: أسماء الله مخلوقة، وكان الذين يطلقون القول بأن الاسم غير المسمى هذا مرادهم.

وقال الدارمي رحمه الله في نقضه على المريسي الجهمي العنيد (١/ ١٦١-١٦٢):

فمن ادعى أن صفة من صفات الله تعالى مخلوقة أو مستعارة فقد كفر وفجر، لأنك إذا قلت: الله فهو الله. وإذا قلت: الرحمن فهو الرحمن. وهو الله. وإذا قلت: الرحيم فهو كذلك. وإذا قلت: حكيم حميد مجيد جبار متكبر قاهر قادر، فهو كذلك، وهو الله سواء. لا يخالف اسم له صفته ولا صفته اسماً.

ثم قال رحمه الله:

والله تبارك وتعالى اسمه كأسمائه سواء، لم يزل كذلك ولا يزال. لم تحد له صفة، ولا اسم لم يكن كذلك قبل الخلق كان خالقاً قبل المخلوقين، ورازقاً قبل المرزوقين وعالماً قبل المعلومين، وسميعاً قبل أن يسمع أصوات المخلوقين، وبصيراً قبل أن يرى أعيانهم مخلوقة.

الأشياء المخلوقة؟ قالوا: نعم.

فقلنا: كأنه خلق خلقاً بخلق، وعارضتم القرآن وخالفتموه حين قال الله جل ثناؤه: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فأخبرنا الله أنه يخلق، وقال: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣].

فإنه ليس أحد يخلق غيره، وزعمتم أنه خلق الخلق غيره، فتعالى الله عما قالت الجهمية علوًّا كبيرًا.

بيان ما ادعت الجهمية أن القرآن مخلوق من الأحاديث التي رويت

فقالوا: جاء الحديث: «إن القرآن يجيء في صورة الشاب الشاحب، فيأتي صاحبه فيقول: هل تعرفني؟ فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا القرآن أظمأت نهارك وأسهرت ليلك»(١).

قال: فيأتي به الله فيقول: يا رب.

فادعوا أن القرآن مخلوق من قبل هذه الأحاديث.

فقلنا لهم: القرآن لا يجيء إلا بمعنى: أنه قد جاء من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾. فله كذا وكذا. ألا ترون أن من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ لا يجئه إلا بثوابه، لأنا نقرأ القرآن فيقول: يا رب. لأن كلام الله لا يجيء، ولا يتغير من حال إلى حال. وإنما معنى: أن القرآن يجيء إنما يجيء ثواب القرآن. يا رب(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٨، ٣٥٢، ٣٦١) وابن ماجه (رقم ٣٧٨١) والدارمي بنحوه (رقم ٣٣٩٤) وفي الزوائد: إسناده صحيح رجاله ثقات. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٦٤١٦).

(٢) قال ابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٢٠٢-٢٠٥):
ثم إن الجهمية لجأت إلى المغالطة في أحاديث تأولوها موّهوا بها على من لا يعرف الحديث، مثل الحديث الذي روي: «يجيء القرآن يوم القيامة في صورة الرجل الشاحب فيقول له القرآن: أنا الذي أظمأت نهارك وأسهرت ليلك، فيأتي الله فيقول: أي رب تلاني ووعاني وعمل بي». والحديث الآخر: «تجيء البقرة وآل عمران كأنهما =

= **غمامتان»** فأخطأ في تأويله، وإنما عنى في هذه الأحاديث في قوله: يجيء القرآن وتجيء البقرة وتجيء الصلاة ويجيء الصيام ويجيء ثواب ذلك كله، وكل هذا مبين في الكتاب والسنة.

قال الله عز وجل: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] فظاهر اللفظ من هذا أنه يرى الخير والشر، ليس يرى الخير والشر، وإنما يرى ثوابهما والجزاء عليهما من الثواب والعقاب. كما قال عز وجل: ﴿ **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا** ﴾ [آل عمران: ٣٠] وليس يعني أنها تلك الأعمال التي عملتها بهيئتها وكما عملتها من الشر، وإنما تجد الجزاء على ذلك من الثواب والعقاب. كما قال تعالى: ﴿ **مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ** ﴾ [النساء: ١٢٣] فيجوز في الكلام أن يقال: يجيء القرآن وتجيء الصلاة وتجيء الزكاة، يجيء الصبر، يجيء الشكر، وإنما يجيء ثواب ذلك كله يجزى من عمل الشيء بالسوء، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره﴾ أفترى يرى السرقة والزنا وشر الخمر وسائر أعمال المعاصي إنما يرى العقاب والعذاب عليهما، وبيان هذا وأمثاله في القرآن كثير.

وأما جاءت به السنة فقول النبي ﷺ: «**ظل المؤمن صدقته**» فلا شيء أبين من هذا، وقال النبي ﷺ: «**كل معروف صدقة فإرشادك الضالة صدقة وتحيتك لأخيك بالسلام صدقة، وأن تلقى أخاك بوجه منبسط صدقة**» وأمرك بالمعروف صدقة، ونهيك عن المنكر صدقة، ومباضعتك لأهلك صدقة»، فكيف يكون الإنسان يوم القيامة في ظل مباضعته لأهله؟! إنما عنى بذلك كله ثواب صدقته، أليس قد قال النبي ﷺ: «**من أحب أن يظله الله تعالى في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، فلينظر معسراً أو ليدع له**» فأعلمك أن الظل من ثواب الأعمال.

بيان ما تأولت الجهمية من قول الله

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾

فزعموا أن الله هو قبل الخلق، فصدقوا، وقالوا: يكون الآخر بعد الخلق، فلا يبقى شيء ولا أرض ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب ولا عرش ولا كرسي.

وزعموا أن شيئاً مع الله لا يكون، هو الآخر كما كان، فأضلوا بهذا بشراً كثيراً[1].

وقلنا: أخبرنا الله عن الجنة ودوام أهلها فيها، فقال: ﴿لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۝٢١﴾ [التوبة: ٢١].

---

(١) قال الآجري في كتاب «الشريعة» (٣/ ١١٠١-١١٠٣):
ومما يحتج به الحلولية مما يلبسون به على من لا علم معه قول الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] وقد فسّر أهل العلم هذه الآية: هو الأول: قبل كل شيء من حياة وموت. والآخر: بعد الخلق. وهو الظاهر: فوق كل شيء، يعني السموات. وهو الباطن: دون كل شيء، يعلم ما تحت الأرضين، ودلّ على هذا آخر الآية: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾.
كذا فسره مقاتل بن حيان ومقاتل بن سليمان، وبينت ذلك السنة.
حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن شاهين قال: حدثنا يوسف بن موسى القطان، قال: حدثنا جرير عن مطرف عن الشعبي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم أنت الأول، فليس قبلك شيء، وأنت الآخر، فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن، فليس دونك شيء**».
قال محشيه: إسناده حسن.

فإذا قال جل وجهه: ﴿مُّقِيمٌ ۝٢١﴾ وقال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ﴾ [النساء: ٥٧]، وقال: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرعد: ٣٥]، فإذا قال الله: ﴿دائم﴾ لا ينقطع أبداً.

وقال: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۝٤٨﴾ [الحجر: ٤٨]. وقال: ﴿وَإِنَّ ٱلْأَخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ۝٣٩﴾ [غافر: ٣٩].

وقال: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝٦٤﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وقال: ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣﴾ [الكهف: ٣]، وقال: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١٠٧﴾ [آل عمران: ١٠٧].

وقال: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣﴾ [الواقعة: ٣٢، ٣٣]. ومثله في القرآن كثير.

وذكر أهل النار فقال: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ﴾ [فاطر: ٣٦].

وقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى﴾ [العنكبوت: ٢٣].

وقال: ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍۚ﴾ [الأعراف: ٤٩].

وقال: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

وقال: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١].

وقال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾ [البينة: ٦].

وقال: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦].

وقال: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٢]. وقال: ﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ۝٨﴾ [الهمزة: ٨].

ومثله في القرآن كثير[(١)].

وأما السماء والأرض فقد بادتا، لأن أهلها صاروا إلى الجنة والنار. وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب، لأنه سقف الجنة والله عليه فلا يهلك ولا يبيد.

وأما قوله: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]. وذلك أن الله أنزل ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ۝٢٦﴾ [الرحمن: ٢٦].

قالت الملائكة: هلك أهل الأرض وطمعوا في البقاء، فأنزل الله آية يخبر عن أهل السموات وأهل الأرض أنهم يموتون، فقال: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ﴾ من الحيوان ﴿هَالِكٌ﴾ يعني ميت ﴿إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ أنه حي لا يموت، فأيقنوا عند ذلك بالموت.

وقلنا للجهمية حين زعموا أن الله في كل مكان لا يخلو منه مكان فقلنا: أخبرونا عن قول الله جل ثناؤه: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٣٤].

لِمَ يتجلى للجبل إن كان فيه بزعمهم؟ فلو كان فيه كما تزعمون لم يكن يتجلى لشيء هو فيه، ولكن الله جل ثناؤه على العرش، وتجلى

---

(١) انظر في أبدية الجنة وأنها لا تفنى ولا تبيد، وكذا النار وأبديتها ودوامها: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية رحمه الله، الباب السابع والستون (ص٤٨٠ـ٥٢٨) وكذا «الشريعة» للآجري (٣/ ١٣٧١ـ١٣٨٢).

لشيء لم يكن فيه، ورأى الجبل شيئاً لم يكن رآه قبل ذلك[١].

وقلنا للجهم: فالله نور؟ فقال: هو نور كله، فقلنا: فالله قال: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩].

فقد أخبر الله جل ثناؤه أن له نوراً.

فقلنا: أخبرونا حين زعمتم أن الله في كل مكان وهو نور، فلم لا يضيء البيت المظلم من النور الذي هو فيه إن زعمتم أن الله في كل مكان؟..

وما بال السراج إن أدخل البيت يضيء؟[٢].

فعند ذلك تبين للناس كذبهم على الله تعالى.

فرحم الله من عقل عن الله ورجع عن القول الذي يخالف الكتاب والسنة. وقال بقول العلماء. وهو قول المهاجرين والأنصار، وترك دين الشيطان، ودين جهم وشيعته[٣].

---

(١) قال ابن بطة في كتاب «الإبانة» (٣/ ١٣٩ـ ١٤٠):
وزعم الجهمي أن الله لا يخلو منه مكان، وقد أكذبه الله تعالى، ألم تسمع إلى قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] فيقال للجهمي: أرأيت الجبل حين تجلى له؟ وكيف تجلى للجبل وهو في الجبل؟!

(٢) قال ابن بطة في كتاب «الإبانة» (٣/ ١٤٠):
وقال الله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩] فيقال للجهمي: هل الله نور؟ فيقول: هو نور كله. قيل له: فالله في كل مكان؟ قال: نعم. قلنا: فما بال البيت المظلم لا يضيء من النور الذي هو فيه، ونحن نرى سراجاً فيه فتيلة يدخل البيت المظلم فيضيء. فما بال الموضع المظلم يحل الله تعالى فيه بزعمكم فلا يضيء. فعندها يتبين لك كذب الجهمي وعظيم فريته على ربه.

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٥٩٢):
=

والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

آخر الكتاب

* * *

= وجميع البدع: كبدع الخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية لها شبه في نصوص الأنبياء بخلاف بدعة الجهمية النفاة، فإنه ليس معهم فيها دليل سمعي أصلاً، ولهذا كانت آخر البدع حدوثاً في الإسلام، ولما أحدثت أطلق السلف والأئمة القول بتكفير أهلها لعلمهم بأن حقيقة قولهم تعطيل الخالق، ولهذا يصير محققوهم إلى مثل فرعون مقدم المعطلة، بل وينتصرون له ويعظمونه.

والمبطلون يعارضون نصوص الكتاب والسنة بأقوالهم، وبيان فسادها أحد ركني الحق وأحد المطلوبين، فإن هؤلاء لو تركوا نصوص الأنبياء لهدت وكفت، ولكن صالوا عليها صول المحاربين لله ولرسوله، فإذا دفع صيالهم وبين ضلالهم كان ذلك من أعظم الجهاد في سبيل الله. ا. هـ.

قلت: فأسألك اللهم أن تجعل عملي في هذا الكتاب من الجهاد في سبيلك، وأن تجعله في موازيني وصحائفي يوم العرض عليك، وبيّض به وجهي يوم تبيضّ وجوه أهل السنة والائتلاف وتسودّ وجوه أهل الفرقة والاختلاف.

انتهيت من تحقيق هذا الكتاب المبارك في يوم الجمعة الموافق ٢٠ من ربيع الأول لعام ١٤٢٤هـ الموافق ٢٠/٦/٢٠٠٣م، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

صبري بن سلامة بن شاهين
جوال: ٠٥٢٩٢٩٣٤٨
ص. ب ٣٨٠٩٣٧
رمز بريدي ١١٣٤٥

فهرس الموضوعات

* * *